مواقف من حياة التابعين

تأليف

أ.د على الخطيب

أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد

وعضو اتحاد كتاب مصر

وعضو رابطة الأدب الإسلامى العالمية

والعميد الأسبق لكلية اللغة العربية

فرع جرجا - سوهاج

دار المعارف

تأسست ١٨٩٠

تصميم الغلاف
غادة نبيل

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة – ج . م . ع .
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ – فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

الإهـــــداء

إلى كريمتنا «غيداء» وأحفادنا
«عبد الرحمن وشريف ومحمود»
حبا وأملا، إلى أولادى جميعا
وزوجتى ووالدى فى عالم الخلد

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، إمامنا، وزعيمنا وقدوتنا سيدنا محمد - صلوات الله وسلامه عليه - وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد..

إن هذا الكتاب يضم كوكبة من النجوم الزاهرة والكواكب اللامعة فى سماء الورع، والزهد، والتقوى ليتأسى الشباب بهم، ويتخذهم نبراسا يضىء أمامهم الطريق فى عصر يموج بالفتن، ويعج بالأفكار المنحرفة حتى أصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر، فلابد من التأسى والاقتداء بهؤلاء الأكابر الذين باعوا الدنيا، واشتروا الآخرة.

حتى تحقق فيهم قول الحق: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [1] فهؤلاء قد أحسنوا العمل خشية من الله -عز وجل- وطمعا فى رحمته، وأصبحوا أسوة لغيرهم من المسلمين فى العمل الصالح، والسيرة العطرة، رحمهم الله جميعا.

المؤلف

أ.د / على أحمد الخطيب

---

(١) سورة الكهف الآية ٣٠

زياد بن جرير الأسلمى

معظم الأمانة، ومنظم الديانة، الفقيه التقى، والعامل الوفى «زياد بن جرير الأسلمى» كان رحمه الله من التَّابعين الزُّهاد، الذين يخشون الله تعالى حق خشيته، ويتبعون أوامره، ويجتنبون نواهيه فعن ختاس بن سحيم قال: «أقبلت مع زياد بن جرير من الكناسة فقلت فى كلامى: «لا» والأمانة فجعل زياد «يبكى ويبكى حتى ظننت أنى أتيت أمرًا عظيمًا، فقلت له أكان يكره ما قلت؟.. قال: «نعم»، كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينهى عن الحلف بالأمانة أشد النهى[1].

(أورده بن أبى الدنيا برقم ٦٣١ فى كتاب «الصمت وحفظ اللسان» قال المحقق صحيح المعنى، «الكناسة» مكان بالكوفة).

وعن «ربيع بن عتَّاب» قال: «كنت أمشى مع زياد بن جرير فسمع رجلا يحلف بالأمانة قال: فنظرت إليه وهو يبكى، فقلت له ما يبكيك؟ فقال: «زياد بن جرير»: أما سمعت هذا يحلف بالأمانة، فلئن تحك أحشائى حتى تدمى.. **صحيح المعنى لحديث من حلف بالأمانة فليس منا رقم ٣٢٥٣ سنن أبى داود.**

وفى هذا ما يدل على أن زياد بن جرير الأسلمى كان يعظم الأمانة، ويعرف لها حرمتها، وقدرها، كما أن ذلك دليل على أن التابعى الجليل

---

(١) الحلية جـ ٤ ص ١٩٦.

قد وعى ما ورد فى الكتاب والسنة من تعظيم للأمانة، يقول الله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾[1].

وقول رسوله ﷺ لأبى ذر «جندب بن جنادة الغفارى» - رضى الله عنه - حيث طلب أبو ذر من رسول الله ﷺ أن يوليه منصبًا حيث قال له: «يا رسول الله ألا فاستعملنى، أى اجعلنى عاملا على إقليم من الأقاليم، فقال له النبى - عليه السلام - يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها». مسلم (١٨٢٥).

ويقول الرسول ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد عنده» أورده المنذرى فى «الترغيب والترهيب» وقال رواه أحمد البزار والطبرنى.

من هذا المنظور الإسلامى كان «زياد بن جرير الأسلمى» يعظم حرمة الأمانة، ويعرف قدرها، لذلك كان يبكى حين يسمع أحدًا يحلف بها، لأن الأمانة فى نظر الإسلام تنتظم جميع العبادات فروعها وأصولها.

ونرى «عمر بن الخطاب» رضى الله عنه يسأل «زياد بن جرير» فيقول له يا «زياد» أفى هدم أنتم أم فى بناء؟.. فقال له «زياد» : لا، بل فى بناء يا أمير المؤمنين ، فقال له «عمر» رضى الله عنه : «أما أن الزمان ينهدم بزلة عالم، وجدال منافق، أو أئمة مضلين[2]».

---

(١) اية ٧٢ الأحزاب .

(٢) ذاته بتصرف.

.. أورده ابـن الجوزى فى «مناقب عمـر» عن «زياد بن جرير» بلفظ يهدم الإسلام «زلة عالم» و «جدال منافق بالقرآن» و «أئمة مضلون».

وعن «الشعبى» عن «زياد بن جرير» قال: «أتيت» عمر بن الخطاب رضـى الله عنه فقال لى يا «زياد» هل تدرى ما الذى يهدم الإسـلام؟.. فقال له: «زياد» ما الذى يهدم الإسلام يا أمير المؤمنين؟.. فقال له أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب»: «يهدم الإسـلام زلة عالم، أو جدال منافق بالقـرآن، وحكم المضلين، وكان رحمه الله يخشـى الآخرة، ولقاء الله عـز وجل، ويتجهز لذلك، ويحذر غيره فكان يقول للناس «تجهزتم»، فسـمعه ذات يوم رجل وهو ينطق بهذه الكلمة فقال له: ما يعنى زياد بـن جرير بقوله «تجهزتم»؟.. فأجـاب الرجل أنه يعنى بقوله تجهزتم «تجهزوا للقاء الله تعالى»[1].

ومن شدة ورعه وتقواه، وخوفه من الله عز وجل كان يقول: «وددت أنى حبيس فى مكان لا أكلم فيه الناس ولا يكلمونى حتى ألقى الله عز وجـل وكان يقول أيضًا موجهًا، ومرشـدًا، ومعلمًا: «اقطع طريقك بذكر الله» **أورد هـذا الـكلام ابن الجوزى عن زياد بن حدير الأسـدى جـ٢ ص٢٢ «صفـة الصفـوة»**، وعن «حفص بن حميد» قال: «قال لى زياد بن جرير الأسلمى»: «اقرأ علىَّ فقرأت عليه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ الشـرح: (١ - ٢) فقـال: «يا ابن أم زياد» انقض ظهر رسول الله ﷺ؟.. فأخذ يبكى كما يبكى الصبى[2].

---

(١) ذاته ص ١٩٧ بتصرف.

(٢) ذاته بتصرف.

وكان له موقف مع أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» -رضى الله عنه- وهو أنه قدم عليه ، وعليه «طيلسان» وله شارب عافٍ أى «غير محلوق» ، فسلمت عليه فرفع رأسه فنظر إلى ولم يرد السلام، فانصرفت عنه ، فأتيت ابنه «عاصمًا» فقلت له : لقد رميت من أمير المؤمنين فى الرأس ، فقال له : «عاصم بن عمر بن الخطاب» : سأكفيك ذلك ، فلقى «عاصم» أباه فقال له : يا أمير المؤمنين أخوك زياد بن جرير الأسلمى يسلم عليك فلم ترد عليه السلام ، فقال له : «عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- إنى رأيت عليه «طيلسانًا» أى «كساء من حرير» ، ورأيت شاربه عافيًا ، أى «غير محلوق» -يقول زياد- فرجع «عاصم» إلىَّ فأخبرنى بذلك ، فانطلقت فقصصت شاربى ، وكان معى «برد» فشققته ، وجعلته «إزارًا ورداء» ثم أقبلت إلى «عمر» فسلمت عليه فقال : «وعليك السلام»[1].

ويروى لنا زياد بن جرير الأسلمى ، فيقول : استعملنى «عمر» على ألماص والماص بالتريك «بيْضُ الإبل وكرامها» فكنت : «أُعشّر بنى تغلب كلما أقبلوا وأدبروا ، فخرج إليه رجل منهم فقال يا أمير المؤمنين إن عاملك «زياد بن جرير» «يعشّرنا» كلما أقبلنا وأدبرنا ، فقال له : «عمر» سأكفيك ذلك ، فكتب «عمر بن الخطاب» - إلى «زياد» أن عشرهم[2] فى السنة مرة واحدة ، يعنى يريد أن يقول الإمام «عمر بن الخطاب» -رضى الله عنه- لزياد أن لا تفرض عليهم «العُشُر» إلا مرة واحدة فى السنة ، وذلك تخفيفًا وحتى لايثقل كاهلهم بما لا يقدرون عليه ، وليست لهم به طاقة.

---

(١) ذاته بتصرف ص ١٩٨.

(٢) البرد : ثوب فى خفوط، والجمع «أبراد» وأبرد وبرود «لسان العرب» لابن منظور مادة «برد» المجلد الأول طبع دار المعارف بالقاهرة.

وكان رحمه الله قليل المسانيد، فقد أسند عن «علي، عبد الله ابن مسعود رضى الله عنهما» فعن زياد بن جرير قال: قال «علي» رضى الله عنه لئن بقيت لنصارى بنى تغلب لأقتلن القاتلة، ولأسبين الذرية، فإنى كتبت الكتاب بين النبى - عليه السلام - وبينهم على أنهم لا ينصرون أبناءهم».

وهكذا رأينا التابعى الجليل «زياد بن جرير الأسلمى» رحمه الله مثالا وقدوة حسنة لشبابنا المسلم فى الزهد، والورع، والتقوى، والعمل للدار الآخرة حيث النعيم المقيم.

يا مَنْ تمتع الدنيا وزينتها ... ولا تنام من اللذات عيناه

أفنيت عمرك فيما لست تدركه ... تقول لله ماذا حين تلقاه

ندعو الله أن يرزقنا العمل الصالح والإخلاص فيه.

□□□

شقيق بن سلمة الأسدى

الواله، الذابل، والمجتهد الناحل، والإمام الكبير شيخ الكوفة، «شقيق بن سلمة الأسدى»، ويكنى «أبو وائل» و«أسد خزيمة» حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم قال: «كان أبو وائل إذا صلى فى بيته ينشج نشيجًا - يعنى يرتفع صوته بالبكاء - ، وكان ذلك البكاء خوفا من الله، وطمعا فى رحمته، ولو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله، وإذا ذكر الله عنده ينتفض انتفاض الطير.

أورده ابن الجوزى فى «صفة الصفوة» جـ ٢ ص ١٧.

ويحدثنا «معروف ابن واصل» فيقول: كنا عند أبى وائل «شقيق بن سلمة» فذكروا قرب الله من خلقه، فقال نعم!.. يقول الله تعالى: «يا ابن آدم ادن منى شبرًا ادن منك ذراعًا، ادن منى ذراعًا ادن منك باعًا، امش إلى أهرول إليك» يعنى أسرع إليك.

حديث صحيح أخرجه البخارى ومسلم وأحمد واللفظ لأحمد.

ويروى عنه أنه قال: «خرجنا فى ليلة مخوفة فمررنا بأجمة[1] فيها رجل نائم، وقد قيَّد لفرسه وهى ترعى عند رأسه فأيقظناه فقلنا له: «تنام فى مثل هذا المكان، فرفع رأسه إنى لأستحيى من ذى العرش أن يعلم أنى أخاف شيئا دونه، ثم وضع رأسه فنام، وكان يمسك من

(١) الأجمة: الشجر الكثيف الملتف، والجمع «أجُمُ وآجام، وإجام «لسان العرب» لابن منظور جـ١ مادة «أجم» ص ٣٤ ط دار المعارف.

المال ما يكفى أهله سنة ثم يتصدق بما تبقى له من مال[1]، وكان رحمه الله زاهدًا، خاشعا وما يُرى ملتفتا فى صلاة ولا فى غيرها، ولا يسب أحدًا إلا إنه ذكر «الحجاج» يومًا فقال: اللهم أطعم الحجاج من ضريع لايسمن ولا يغنى من جوع، ثم تداركها، فقال: إن كان ذاك أحبَّ إليك، فقلت: وتستثنى فى الحجاج؟.. فقال: «نعدها ذنبًا» وقد سبّ الحجاج أحد جلسائه فقال له: «لا تسبه وما يدريك لعله قال: «اللهم اغفر لى فغفر له»[2] ؟!.

وكان «عبد الله بن مسعود» رضى الله عنه - إذا رأى «الربيع بن خيثم» قال: «وبشر المخبتين» وإذا رأى «شقيق بن سلمة» قال: «التائب» وكان يقول وهو ساجد: «رب اغفر لى، رب اعف عنى، إن تعف عنى تطولا من فضلك، وإن تعذبنى تعذبنى غير ظالم لى ولا مسبوق، قال ثم يبكى حتى أسمع نحيبه من وراء المسجد» ودخل على «عبد الله بن زياد» فى البصرة، فإذا بين يديه تل من ورق، والآلاف من النقود من خراج «أصبهان» فقال «عبد الله بن زياد» لـ «شقيق»: «يا أبا وائل ما ظنك برجل يموت ويدع مثل هذا، فقلت له: فكيف إذا كان من غلول؟.. فذاك شر على شر ثم قال له: يا أبا وائل إذا أتيت الكوفة فأتنى لعلى أصيبك بمعروف قال فلما رجعت قلت لو إنى شاورت علقمة فى ذلك ثم أتيت «علقمة» فأخذت رأيه، فقلت له: إنى دخلت على ابن زياد فقال لى كيت وكيت فكيف ترى؟.. قال لى «علقمة»: لو إنك أتيته

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - لأبى نعيم الأصفهابى - دار البيان العربية جـ ٤ ص ١٠١.
(٢) ذاته ص ١٠٢ وطبقات ابن سعد جـ ٦ ص ١٢٥.

قبل أن تستأمرنى لم أقل لك شيئًا، فأما إذا استأمرتنى فإنى حقيق أن أنصحك، والله ما يسرنى أن لى ألفين مع ألفين فإنى أكره الناس عليه فقلت له لما يا أبا شبل؟.. قال: إنى أخاف أن ينقصوا منى أكثر مما أنتقص منه[1].

وأُخبر «شقيق بن سلمة» بأن ابنه استعمل على السوق - يعنى صار أميرًا يحصل خراج السوق - ، وهى وظيفة من الوظائف المهمة فى المجتمع الإسلامى يومذاك، فقال له شقيق: والله لو جئتنى بخبر موته لكان أحبَّ إلى، إنى لأكره أن يدخل بيتى مال من هذا العمل، وكان يقول لجاريته يا بركة: إذا جاء يحيى يعنى ابنه بشىء فلا تقبليه وإذا جاءك أصحابى بشىء فخذيه[2]، وكان ابنه يحيى قاضيًا على الكناسة[3] وهذا هو التحرى عن الحلال، والبعد عن الشبهات، ولا يتأتى ذلك إلا ممن زهد الدنيا، واتجه بكليته إلى الآخرة، لأنه يعلم لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، وكل لحم نبت من سحت، ومن حرام فالنار أولى به، وقد قال رسول الله ﷺ لـ سعد حين طلب من رسول الله - عليه السلام - أن يكون مستجاب الدعوة، فقال له عليه السلام: «يا سعد أطب طعمتك تستجب دعوتك».

أورده المنذرى فى الترغيب بلفظ يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة وعزاه للطبرانى فى الصغير وعنون له بلفظ روى وهو محتمل الضعف.

---

(١) ذاته ص ١٠٣.

(٢) ذاته ص ١٠٣.

(٣) الكناسة اسم موضع بالكوفة.

أرأيت الزهد، والورع، والتقوى وتحرى الحلال والخوف من الله فما بالكم بالذين يأكلون أموال اليتامى ظلما، ولا يتحرون الحلال وبيوتهم مملوءة بالمال الحرام، إنهم لا يخافون الآخرة.

وكان لهذا الزاهد الورع. ،خُصٌّ من قصب يقيم فيه هو وفرسه فإذا غزا نقضه وتصدق به فإذا رجع اتخذ خُصَّاً غيره[1].

وكان يقول رحمه الله لئن يكون لى ولد يقاتل فى سبيل الله أحبَّ إلى من مائة ألف.

وفى هذا دعوة للجهاد، لإعزاز كلمة الله، وردع الأعداء حتى لايفكروا فى الاعتداء علينا، واجتياح أراضينا، ونهب خيرات بلادنا، ولاسبيل إلى استرداد مجدنا، وعزتنا، وصون كرامتنا إلا بفتح باب الجهاد فى سبيل الله وخاصة فى هذا العصر الأنكد، الذى تداعت فيه الأمم علينا كما تتداعى الأكلة على قصعتها، ومن أقواله: «نعم الرَّبُّ ربنا لو أطعناه ما عصانا» ومن أقواله أيضًا: «إن أحسن ما زُيِّنَّ به المصحف تلاوته بالحق[2]» وعن إبراهيم قال: «ما من قرية إلا وفيها مَنْ يدفع عن أهلها به» وإنى لأرجو أن يكون أبو وائل فهم وكان يقول «إن أهل بيت يضعون على مائدتهم رغيفًا حلالا لأهل بيت غرباء».

وكان رحمه الله يدخل المسجد يصلى، ثم ينشج كما تنشج المرأة يعنى يعلو صوته بالبكاء، وسمع «شقيق بن سلمة» عن عمر وعثمان وعلى، وعبد الله بن مسعود، وعمارة، وخباب وأبى موسى، وأسامة

---

(١) صفة الصفوة جـ ٢ ص ١٧ دار الحديث – القاهرة.

(٢) ذاته ص ١٠٥.

ابن زيد، وحذيفة، وعبد الله بن عمر، وسلمان، وأبى الدرداء، والبراء، وغيرهم كثير[1].

ويروى عن أقرانه كمسروق وعلقمة، وحمران بن أيامه كما حدَّث عنه «عمرو بن مُرَّة، وواصل الأحور، وأبوحصين، وعطاء بن السائد، والأعمش والعلاء بن خالد، وغيرهم».

ومن جملة الأحاديث التى رواها «شقيق» عن الأعمش عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول ﷺ: «لشبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها». **روى مثله ابن ماجة فى سننه بسند آخر ورواه الدارمى بلفظ لموضع سوط أحدكم..»**، وعن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله عليه السلام: «ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله»، قال: أجورهم «يدخلهم الجنة، ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف فى الدنيا[2]».

وعن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بال أقوام يشرفون المترفين، ويستخفون بالعابدين، ويعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم، وما خالف أهواءهم تركوه، فعند ذلك يؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض، يسعون فيما يدرك بغير السعى من القدر المقدور، والأجل المكتوب، والرزق المقسوم، ولا يسعون فيما لا يدرك إلا بالسعى من الجزاء الموفور، والسعى المشكور، والتجارة التى لاتبور»[3].

---

(١) صفة الصفوة جـ ٢ ص ١٨.

(٢) الحلية جـ ٢ ص ١٠٨.

(٣) ذاته ص ١٠٩ وما بعدها.

وعن أبى وائل «شقيق بن سلمة» عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إياكم والزنا، فإن فيه ست خصال، ثلاثا فى الدنيا، وثلاثا فى الآخرة، فأما اللواتى فى الدنيا فإنه يذهب بالبهاء، ويورث الفقر، وينقص الرزق، وأما اللواتى فى الآخرة فإنه يورث سخط الرب، وسوء الحساب والخلود فى النار[1].

وعنه أيضًا قال: قال رسول الله – عليه السلام «المرء مع من أحب» وتوفى زمن «الحجاج» بعد معركة الجماجم – ويقول خليفة فى طبقاته «مات بعد الجماجم سنة اثنتين وثمانين للهجرة النبوية»[2].

ويقول سعد بن صالح «كان يؤم جنائزنا وهو ابن مائة وخمسين سنة، أما الفضل ابن دكين فيؤيد ما ذكرناه آنفًا من أنه توفى زمن الحجاج بعد معركة الجماجم.

رحم الله الزاهد الورع «شقيق بن سلمة» وجمعنا وإياه فى مستقر رحمته.

❑❑❑

(١) ذاته ص ١١١.

(٢) طبقات خليفة جـ ١ ص ٣٢٣ وتذكرة الحفاظ طـ ص ٦٠ والكاشف جـ ٢ ص ١٣، وسير أعلام النبلاء – للذهبى جـ ٥ ص ١٧٨.

عروة بن الزبير

هــو التابعى الجليل، والزاهد الورع، عالم المدينة، الإمام الفقيه عروة بــن الزبير بــن العوام بن خويلد بن أســد بن عبد العــزى بن قصى ابن كلاب ويكنى «أبو عبد الله» وهو قريشى أسدى وكان - رحمه الله - أحد الفقهاء السبعة وهم «عروة، وسعيد بن المسيب، والقاسم، وأبو بكر بن عبد الرحمــن، وعبيــد الله بن عبد الله بن عتبة وخارجــه بن زيد بن ثابت، وسليمان بن يسار» رحمهم الله جميعًا.

ويقول خليفة بن خياط: ولد «عروة بن الزبير» ســنة ثلاث وعشــرين وقيــل مولده بعد ذلك، وفى تذكرة الحفــاظ عند خليفة أيضًا - ولد فى أخر خلافة «عمر» رضى الله عنه[1] وأمه «أسماء بنت أبى بكر» رضى الله عنهما ويقول «مصعب بن عبد الله» : ولد «عروة بن الزبير» لست سنين خلت[2]من خلافة «عثمان» وقيل ولد ســنة تسع وعشرين، ويشهد لهذا ما رواه «هشام بن عروة» - عن أبيه قال: أذكر إن أبى الزبير «يُنقِّذُنِى» يعنى يوثبنى - ويقول:

مبارك من ولد الصديق أبيض من آل عتيق
ألــــــدُّه كما الذريــقى[3]

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٥٦، تذكرة الحفاظ حـ ١ ص ٦٣.

(٢) خلت : مضت.

(٣) سير أعلام النبلاء - الذهبى جـ ٥ ص ٣٣٧.

ويروى لنا «عروة» عن نفسه فيقول: «وقفت وأنا غلام أنظر إلى الذين قد حاصروا «عثمان» رضى الله عنه - وقد مشى أحدهم على الخشبة ليدخل إلى عثمان فلقيه عليها أخى «عبد الله بن الزبير» فضربه ضربة طاح قتيلا على البلاط، فقلت لصبيان معى: قتله أخى فوثب علىّ الذين حاصروا «عثمان» فكشفونى فوجدونى لم أنبت أى لم تنبت عانته يعنى كان غلامًا صغيرًا لم ينضج بعد فتركونى[1] ويقول عنه «عمر بن عبد العزيز» رحمه الله: «لم أجد أعلم من عروة بن الزبير، وما أعلمه يعلم شيئًا يجهله».

عن الزهرى أنه قال: رأيت «عروة» بحرًا لا تكدره الدّلاء، وفى تذكرة الحفاظ عن الزهرى أنه قال: «رأيته بحرًا لا ينزف[2]».

ويقول عبد الرحمن بن حميد: «دخلت مع أبى المسجد فرأيت الناس قد اجتمعوا على رجل فقال أبى: «انظر مَنْ هذا؟! فنظرت فإذا هو «عروة» فأخبرته وتعجبت، فقال يا بنى: لاتعجب، لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه، وكان «عروة» يتحلق الناس على حديثه[3].

وكان - رحمه الله - راوية الشعر، حتى إنه قيل له: ما أرواك للشعر: «ما روايتى ما فى رواية عائشة، ما كان ينزل بها شىء إلا أنشدت فيه شعرا، وكان - رحمه الله - يقرأ كل يوم ربع القرآن ويقوم به الليل. فما ترك هذا العمل إلا ليلة قطعت رجله.

---

(١) ذاته ص ٣٥٧.

(٢) سير أعلام النبلاء - جـ ٥ ص ٣٥٩ وتذكرة الحفاظ جـ١ ص٦٢ وتهذيب الأسماء واللغات جـ١ ص ٣٠٥.

(٣) تذكرة الحفاظ ص ٦٢١ وحلية الأولياء جـ ٢ ص ١٧٦.

وكان – رحمه الله – جوادًا كريمًا، فكان إذا نضج ثمر بستانه يأذن للناس في دخوله والأكل من ثماره، ويحملون معهم من الرطب ما يشتهون، ولما اتخذ «عروة» قصره بالعقيقة وهي ناحية من نواحي المدينة فيها عيون ونخل، قال له الناس: «جنوت مسجد رسول الله ﷺ فقال: «عروة» رأيت مساجدهم لاهية، وأسواقهم لاغية، والفاحشة في فجاجهم عالية، فكان فيما هنالك عمَّاهم فيه عافية[1] وعن «عروة بن الزبير» أن رسول الله ﷺ قال: «يكون في أمتي خسف وقذف وذلك عن ظهور عمل قوم لوط فيهم قال «عروة» فبلغني إنه قد ظهر ذلك فتنحيت عن المدينة، وخشيت أن يقع وأنا بها، فنزلت بالعقيقة.

وفي رواية أخرى زاد فيها على ما ذكرناه آنفا: «وبلغني أنه لا يصيب إلا أهل القصبة، وبئر «عروة» مشهور بالعقيقة وهو طيب الماء، وكان يخرج من مكة وغيرها إذا مَرَّ بالعقيقة تزود من ماء بئر «عروة» وكانوا يهدونه إلى أهاليهم ويشربونه في منازلهم – ويقول «الزبير بن بكار»: «ورأيت أبي يأمر به فيغلى ثم يجعله في القوارير ويهديه إلى الرشيد».[2] وهو بالرقة كان له موقف مع الخليفة «عبد الملك بن مروان» حيث قدم «عروة بن الزبير» على «عبد الملك بن مروان» فأجلسه معه على السرير، فجاء قوم فوقعوا في «عبد الله بن الزبير» يعني شتموه، ونالوا منه وقدحوا في شخصيته، فخرج «عروة» وقال لهم: «إن عبد الله» أخي فإذا أردتم أن تقعوا فيه فلا تأذنوا لي عليكم، فذكروا ذلك للخليفة «عبد الملك بن مروان»

(١) سير أعلام النبلاء – جـ ٥ ص ٣٦٠.

(٢) معجم البلدان – لياقوت الحموي جـ١ ص ٣٠٠ وما بعدها.

فقـال «عبد الملك» حدثوني بما قلـت، وإن أخاك لم نقتله لعدواة، ولكنه طلب أمرًا وطلبناه فقتلناه - فهو يريد أن يقول إنه خلاف سياسي، ونزاعٍ رياسـي وطمع دنيوى - وإن أهل الشـام فى أخلاقهم أن لا يقتلوا رجلاً إلا شـتموه فإذا أذنا لأحد قبلك فقد جاء من يشتمه فانصرف عروة.. وقد قطعت رجل «عروة» رحمه الله فما تضوّر وجهه ولا صاح ولا تلوى، وأبى أن يشـرب دواءً ينسيه ألم قطع رجله حتى إن الوليد قال فيه: «ما رأيت شيخًا قط أصبر من هذا».

وتوفـى له ابن كانـت قد أصابته بغلة فى إسـطبل فلما كان بوادى القـرى قـال: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾[1] اللهم كان لى بنون سـبعة فأخذت واحدًا وأبقيت لى سـتة، وكان لى أطراف أربعة فأخذت طرفًا وأبقيت لى ثلاثة فإن ابتليت فقد عافيت، ولئن أخذت فقد أبقيت[2].

ونظر إلى رجله المقطوعة ثم قال: «إن الله يعلم إنى ما مشيت بك إلى معصية قط وأنا أعلم» واجتمع فى الحجر مصعب، وعبد الله، وعـروة، وعبد الله بن عمر، فقالوا تمنَّوا فتمنى «عبد الله» الخلافـة، وتمنى «عروة» أن يؤخذ عنه العلم، وتمنى «مصعب» إمـرة العراق، والجمع بين عائشـة بنت طلحة وسـكينة بنت الحسـين، وتمنـى «عبد الله بن عمر» المغفـرة فنال جميعهم ما تمنى، ولعل ابن عمر قد غُفِرَ له[3].

---

(١) سورة الكهف آية رقم (٦٣).

(٢) حلية الأولياء جـ ٢ ص ١٧٩.

(٣) طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ١٣٧.

وأقام «عروة بن الزبير» بمكة تسع سنين، ولما قتل أخوه «عبد الله بن الزبير» خرج «عروة» إلى المدينة بالأموال فاستودعها، وسار إلى «عبد الملك ابن مروان» وأذن له بالدخول عليه، فلما رآه «عبد الملك» أفسح له المكان وجعل يسأل: «كيف أبو بكر»؟.. يعني «عبد الله بن الزبير» فقال له: «قُتِلَ رحمه الله فنزل» عبد الملك عن السرير فسجد، فكتب إليه «الحجاج» إن «عروة» قد خرج والأموال عنده، فقال له «عبد الملك» في ذلك: ما تدعون الرجل حتى يأخذ سيفه فيموت كريمًا، وكتب إلى الحجاج أن أعرض عن ذلك.

ويقول «ابن خلكان»: هو الذى حفر بئر «عروة» بالمدينة، وما بالمدينة أعذب من مائها[1]، ويقول عنه «العجلى»: «عروة بن الزبير» «تابعى ثقة، رجل صالح، لم يدخل فى شىء من الفتن ويقول عنه «ابن خراش»: «تابعى ثقة».

وكانت الحكمة تجرى على لسانه، عذبة حلوة ومنها «رُبَّ كلمة ذل احتملتها أورثتنى عزًّا طويلا»، ويقول: أيضًا رحمه الله «إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخواته، فإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن له عندها أخوات، فإن الحسنة تدل على أخواتها، وإن السيئة تدل على أخواتها.

ويقول أيضًا: «الناس بأزمنتهم أشبه منهم بآبائهم وأمهاتهم[2] وكان يقول – رحمه الله – إنى لأعشق الشرق، كما أعشق الجمال ويقول لتكن

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – لابن خلكان جـ٣ ص ٢٥٧.

(٢) الحلية جـ٢ ص ١٧٧.

كلمتك طيبة، وجهك بسطى تكن أحبَّ إلى الناس ممن يعطيهم العطاء، ولم يترك ورده - رحمه الله- ليلة واحدة إلا فى الليلة التى قطعت فيها رجله، وتمثل الأبيات من شعر معن بن أوس:

لعمرك مـــا أهويت كفى لريبة ولا حملتنى نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها ولا دلنى رأيى عليها ولا عقلى
وأعلم أن لم تصبنى مصيبة مـن الدهر إلا قد أصابت فتى قبلى[1]

ويقـول -رحمه الله- إذا رأى أحدكم شـيئًا من زينة الدينا وزهرتها فليـأت أهله، وليأمرهم بالصلاة وليصطـبر عليها - قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ (طـه: ١٣١)، وكان لـه بسـتان - رحمـه الله - يقصده أهل البادية فيأكلون ويحملون معهم، وكلما دخل عروة يذكر قول الحق سـبحانه وتعـالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴿٣٩﴾ ﴾ (الكهـف: ٣٩)، ويظل يردد هذه الآية حتى يخرج من البسـتان وهذا غاية الورع، وشكر النعمة، والبعد عن الغرور والاغترار بالمال.

وتوفى - رحمه الله - وهو ابن سـبع وسـتين سنة وقيل سنة ثلاث وتسعين وقيل سنة أربعة وتسعين وقيل غير ذلك.

ويذكر لنا صاحب العبر أن عروة بن الزبير - رحمه الله - توفى سنة أربع وتسعين ويقول: «وفيها أى فى سنة أربع وتسعين توفى أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام الأسـدى المدنى، الفقيه الحافظ، ولد فى سـنة تسـع وعشـرين للهجرة النبوية، وحفظ عن والـده، وكان يصوم الدهر،

(١) الحلية جـ٢ ص ١٧٨

ومـات وهو صائـم وكان يقرأ كل يوم ربع الختمـة فى المصحف، ويقوم الليل فما تركه إلا ليلة قطعت رجله، وكانت وقع فيها الأكلة فنشرها[1].

ولحق عروة بالرفيق الأعلى بعد حياة حافلة بالورع، والزهد والتقوى، والنـأى عن الحرام، والشـبهات فكان - رحمـه الله - صوامًا، قوامًا، لا تكتحـل عينه بنعاس خشـية مـن الله عز وجل فهو مـن الذين قال الحق فيهم ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (السـجدة:١٦)، فهل يقتدى شـبابنا المسلم بهذا الشاب المسلم عروة بن الزبير ليسعد فى دنياه ويربح فى أخراه؟!..

❑❑❑

(١) العـبر فـى خـبر من غبر - للذهبى جـ١ ص ٨٢ والسـير جـ ٥ ص ٣٦٦ والزهد - لأحمد ص٣٧١ وتاريخ البخارى جـ٧ ص ١٣١ والمقارن - لابن قايبة ص ٢٨٣ المعرفة والتاريخ جـ ص ٣٦٤.

مصعب بن الزبير

هــو التابعى الجليــل، أمير العراقيين «مصعب بــن الزبير بن العوَّام القرشي الأسدى» ويكنى «أبوعيسى»، وأبو عبد الله «كان فارسًا شجاعًا، جميلاً، وسيمًا، حارب المختار وقتله.

ويقــول «ابن ســعد» فى طبقاته هو: «مصعب بــن الزبير بن العوام بن خويلد، وأمه «الرباب بنت أنيف بن عبيد بن مصاد بن كعب بن عليم بن جناب»، من كلب فولد «مصعب بن الزبير» عكاشــة وعيســى الأكبر قتل مع أبيه مصعب وســكينة وأمهم «فاطمة بنت عبد الله بن السائب بن أبى حبيش بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى، وعبد الله بن مصعب، ومحمداً وأمهما «عائشة بنت طلحة بن عبيد الله» وأمها «أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق وحمــزة، وعاصمًا، وعمر لأم ولد، وجعفرًا لأم ولد، ومصعب بن مصعب وهو «خضير» لأم ولد، وسعدًا لأم ولد، والمنذر لأم ولد، وعيسى الأصغر لأم ولد، والرباب بنت مصعب وأمها سكينة بنت الحسن بن على بن أبى طالب.

ويــروى أن «مصعب بن الزبير» كان يكنى «أبا عبد الله» ولم يكن له ابن يســمى «عبد الله» وولى عبد الله بن الزبير أخاه «مصعب بن الزبير» العــراق فبدأ بالبصرة فنزلها ثم خرج فــى جيش عرمرم كثير إلى المختار بــن أبى عبيد وهــو بالكوفة فقاتله حتى قتله، وبعث برأســه إلى أخيه عبد الله بن الزبير.

ومن سخائه وجوده كان يسمى «آنية النّحل[1]» وفيه يقول الشاعر عبد الله بن قيس الرقيات:

إنما مصعب شهاب من الله ... تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك عزة ليس ... فيها جبروت منه ولا كبرياء

يتقى الله فى الأمور وقد أفلـ ... ح من كان همه الاتقاء[2]

وكان - رحمه الله - وسيمًا جميلا، حتى إن إسماعيل بن أبى خالد يقول: «ما رأيت أميرًا قط على منبر أحسن من «مصعب».

ويقول: «صاحب الطبقات»: «ما رأيت أميرًا قط أجمل من «مصعب ابن الزبير» على المنبر[3].

وكان -رحمه الله - يُحسد على الجمال، ويروى أنه اجتمع فى الحجر عبد الله ومصعب، وعروة بنو الزبير - وابن عمر فقال: «تمنوا، فقال ابن الزبير أتمنى الخلافة، وقال «عروة» أتمنى أن يؤخذ عنى العلم، وأما «مصعب» فقال: «أتمنى إمرة العراق»، والجمع بين «عائشة بنت طلحة، وسكينة بنت الحسين» فقال «ابن عمر»: «أما أنا فأتمنى المغفرة»، فنالوا جميعًا ما تمنوا، ولعل «ابن عمر» قد غُفِرَ له[4]، وكان عبد الملك ودودًا لمصعب صديقًا له.

ويروى عن ابن جُدعان قوله: «بلغ مصعب شىء عن عريف الأنصار، فهمّ به فأتاه أنس فقال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) سير أعلام النبلاء - الذهبى جـ ٥ ص ١٦٠.

(٢) ديوان قيس الرقيات ص ٩١ والشعر والشعراء - لابن قتيبة الدينورى ص٤٥٠.

(٣) الطبقات الكبرى - لابن سعد جـ ٥ ص ١٣٦.

(٤) حلية الأولياء - لأبى نعيم جـ ٢ ص ١٧٦ ت/١٧١.

«استوصوا بالأنصار خيرًا، اقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم» فألقى «مصعب» نفسه عن السرير، وألزق خده بالبساط وقال: «أمر رسول الله ﷺ على العين والرأس وتركه[1].

ويقول «مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ابن العوام» وهو من الطبقة العاشرة: «أهديت لمصعب تحلة من الذهب، عتاكلها من صنوف الجوهر، قومت بألفى ألفى دينار، وكانت للفرس، فدفعها إلى «عبد الله بن أبى فروة»، ولم يقبلها وهذا هو الزهد بعينه، والورع والتقوى وخشية الله ـ عز وجل – حيث إن هؤلاء الصفوة باعوا دنياهم، واشتروا بها آخرتهم ففازوا بسعادة الدارين، وربح البيع كما أن هؤلاء الصفوة كانوا مثالا يحتذى، وأسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وحق لهم ذلك فمتاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى.

وكان «ابن الزبير» إذا كتب لأحد بجائزة ألف درهم جعلها «مصعب مائة ألف» وسئل «سالم» أىّ ابنى الزبير أشجع؟.. فقال كلاهما جاء الموت وهو ينظر إليه، وقد تذاكروا الشجعان يومًا فقال «عبد الملك» أشجع العرب من ولى العراقيين خمس سنين، فأصاب ثلاثة آلاف ألف، وتزوج بنت الحسين، وبنت طلحة، وبنت عبد الله بن عامر وأمه رباب بنت أنيف الكلبى سيد ضاحية العرب، وأعطى الأمان فأبى ومشى بسيفه حتى قتل[2].

(١) أخرجه أحمد وفى المسند جـ٤ حديث رقم ١٣٥٢٩ ط دار الفكر العربى.

(٢)تاريخ بغداد جـ ١٣ ص ١٠٦ وتاريخ الإسلام الطبعة الثامنة ص ٥٢٤ ترجمة مصعب ص٥٢٦.

ويقـول «عبد الملك بن عمير» : «رأيت بقصر الكوفة رأس الحسـين الشهيد، ثم رأس ابن زياد، ثم رأس المختار، ثم رأس مصعب بين يدى «عبد الملك».

وكان «مصعب» قد سـار ليأخذ الشـام فقصده «عبد الملك بن مروان» فوقـع بينهما ملحمة كبرى «بدير الجاثليق بقرب أوانا» وهى بلدة كثيرة البسـاتين والشـجر بينها وبين «بغداد» عشرة فراسخ من جهة تكريت، وكثيرًا ما يذكرها الشعراء الخلفاء فى أشعارهم[1].

وكان قـد كاتب «عبد الملك» جماعة مـن الوجوه يمنيهم ويعدهم إمرة العراق وإمرة العجم، فأجابره إلا «إبراهيم بن الأشتر» فأتى مصعب بكتاب وفيـه «إن بايعتنى وليتك العراق»، وقال: قد كتب إلىّ أصحابك فأطعنى واضرب أعناقهم، فقال له: إذاً تغضب عشـائرهم، قال فاسجنهم، قال فإنـى لفى شـغل عن ذلك يرحم الله الأحنف بـن قيس، إن كان ليحذر غـدر العراقيين، وقيل قال لهم «قيس بن الهيثم» ويحكم لا تدخلوا أهل الشام عليكم منازلكم، وأشار ابن الأشتر بقتل «زياد بن عمرو» و«مالك بن يسمَع»، فلما التقى الجمعان، لحقوا بعبد الملك وهرب «عتاب بن ورقاء» وخذلوا «مصعب» ، وفى ذلك يقول «عبد الله بن قيس الرقيات:

أن الرزية يـوم مسكيـن والمصيبـة والفجيعـة
بابن الحـوارى الذى لم يعـده يـوم الوقيعـة
غدرت به مضر العراق وأمكنت منـا ربيعة
فأصبت وترك يا ربيعة وكنـت سـامعة مطيعة

(١) معجم البلدان – لياقوت الحموى جـ١ ص ٢٧٤.

يا لهف لو كانت لـــه بالديـر يوم الدير شيعة
أو لـم يخونـــوا عهده أهل العراق بنو الكليعة
لوجدتموه حين يحدر لا يعـــــرس بالمضيفة

وجعل مصعب كلما قال لقدم من جيشه: تقدم لا يطيعه.

وأخبر عبد الله بن حازم الســلمي «أمير خراســان» بمسير «مصعب» إلى عبد الملك فقال: «أمعه عمر بن عبيد الله التيمي؟».. قيل: «لا» ذاك اســتعمله على فارس فقال: «أفمعه المهلب بن أبي صفرة؟».. قيل: «لا» «ولاه» الموصــل قال: «أمعه عباد بن الحصين؟».. قيل: اســتعمله على «البصرة» فقال: وأنا هنا، ثم تمثل بقول القائل:

خذيني وجريني ضياع وأبشري بلحم امرىء لم يشهد اليوم ناصره

ورواية البيت هكذا:

فقلت لها عيشي جعار وجرري بلحم امرىء لم يشه اليوم ناصره

والبيــت للنابغة الجعدى في ديوانه ص ٢٢٠ والكتاب لســيبويه جـــ٣ ص ٢٧٣ وبلا نســبة في لســان العــرب مــادة «جرر، وجعر» والمقتضب جـ٣ ص٣٧٥ وما ينصرف وما لا ينصرف.

ويقول الطبرى في تاريخه: فقال: «مصعب» لابنه عيســى: «اركب بمن معك إلى عمك أمير المؤمنين، فاخبره بما صنع أهل العراق، ودعنى فإنــي مقتول قال: «لا أخبر قريشًــا عنك أبدًا، ولكن ســر إلى «البصرة» فهم على الطاعة، قال: «لا تتحدث قريش إنني فررت لخذلان «ربيعة» وما الســيف بعــار – وبعث إليه «عبد الملك» مــع أخيه «محمد» يقول: يا ابن العــم – أمنتك فقــال: «مثلي لا ينصرف عن هــذا المقام إلا غالباً

أو مغلوبًا»، فقيل : «أثخنوه بالسهام ثم طعنه» زائدة الثقفى «وكان من جنده، ثم قال: «يا لثارات المختار» وقاتل قتلة ابن الأشتر حتى قتل، واستولى «عبد الملك» على المشرق[1].

وفى السير والطبقات أن «مصعب» قتل يوم نصف جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين وفى العبر فى خبر من غبر/ الذهبى: وقتل مع «مصعب» ولداه «عيسى وعروة وإبراهيم بن الأشتر» «سيد النَّخَع» وفارسها، ومسلم ابن عمر الباهلى واستولى «عبد الملك» على «العراق» وما يليها، فأمر أخاه «بشرًا» على العراق وبعث الأمراء على الأعمال الأخرى - وجهز «الحجاج بن يوسف الثقفى» إلى «مكة» لحرب بن الزبير[2].

ولحق «مصعب» بالرفيق الأعلى بعد حياة حافلة بالجهاد مليئة بالعبر تعج بالأحداث التى تومىء بعمق الإيمان، والثبات على المبدأ مهما كانت العاقبة، وهكذا فالمسلم الواثق بربه، والمؤمن بقضيته لا تهزه الأعاصير الهوج، ولا تؤثر فيه الأحداث، وحسبه أنه مؤمن بالله ورسوله، واثق من نفسه، مؤمن بقضيته، فما أحوجنا نحن المسلمين إلى التأسى بهذه النماذج الطيبة، الصالحة، المؤمنة، الواثقة بالله، حتى يستطيع المسلم تحقيق ما يصبو إليه من أهداف، وما يتطلع إليه من نجاحات وبذلك تسعد الأمم، وترتقى، وتبلغ قمة المجد والازدهار «رحمه الله».

□□□

(١) تاريخ الطبرى المسمى بتاريخ الأمم والملوك جـ٦ ص ١٥٨.

(٢) طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ١٤٠ والعبر للذهبى جـ١ ص ٥٩.

أبو سلمة

هو الحافظ ، التابعى الجليل أحد الأعلام بالمدينة «عبد الله»، وقيل إسماعيل بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب ابن مرّة بن كعب القرشـــى الزهرى»، ويقول صاحب التذكرة «اسم كنيته «أبو ســلمة»[1] ويعــد هذا التابعى الجليل فى الطبقــة الثانية كان ثقة، فقيهًا كثير الحديث[2].

وأمه «تُماضر بنت الأصبغ بن عمرو»، من أهل «دُومة الجندل» أدركت حيــاة النبى ﷺ وهــى أول كلبية نكحها قرشــى[3] وأرضعته «أم كلثوم» فعائشــة -رضــى الله عنهــا - خالته مــن الرضاعة وكان «أبو ســلمة» يخضب شــعره بالسَّــواد، ويقول مالك عنه: «كان عندنا من رجال أهل العلم، اســم أحدهم كنيته منهم «أبو ســلمة» وكان جميل الوجه، بهى الطلعــة يقول أبو يعقوب الضبى عنه: «قدم أبو ســلمة علينا البصرة فى إمارة «بشــر بن مروان» وكان رجلاً صبيحًــا، كأن وجهه دينار هرقلى[4] ويقــول الزهرى: عنه: «أربع من قريــش وجدتهم بحورً فى العلم وهم: «عروة،وابن المسيب، وأبو سلمة، وعبيد الله بن عبد الله».

---

(١) سير أعلام النبلاء - للذهبى جـ٥ ص ٢٦٤ والتذكرة جـ١ ص ٦٣.

(٢) طبقات ابن سعد جـ٥ ص ١٢٠.

(٣) ذاته.

(٤) طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ١١٢.

وكان «أبو سلمة» كثيرًا ما يخالف «ابن عباس – رضى الله عنهما– فحرم منه لذلك علمًا كثيرًا، ويقول «أبوسلمة» عن نفسه: «لو رفقت بابن عباس لاستخرجت منه علمًا كثيرًا»، وقال عنه «أبو إسحاق» أبو سلمة فى زمانه خير من «ابن عمر» فى زمانه.

ويروى لنا «ابن شهاب» فيقول: «قدمت مصر على «عبد العزيز» – يعنى متوليها – وأنا أحدث عن «سعيد بن المسيب» : فقال لى «إبراهيم ابن قارظ». ما أسمعك تحدث إلا عن «سعيد»؟!.. فقلت أجل فقال: «لقد تركت رجلين من قومك لا أعلم حديثًا منهما» «عروة، وأبو سلمة».

يقول: «ابن شهاب» : «فلما رجعت إلى المدينة وجدت» عروة بحرًا لا تكدره الدلاء، وهنا يذكرنا بقول «حسان بن ثابت» رضى الله عنه: حين هجا «أبا سفيان بن حرب»، ومدح الأنصار والمهاجرين فقال فى هذا المعنى:

لسانى صارم لا عيب فيه وبحرى لا تكدره الدلاء

ومع علمه، وتقواه، وزهده وورعه كان متواضعًا، ملتزمًا بكتاب الله وبسنة نبيه ﷺ حيث قال رسول الله ﷺ : «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه» لذلك زوَّجَ أبو سلمة ابنته بمُدٍ من تمر وكان ذلك فى زمن «بشر بن مروان».

وكان «أبو سلمة» يسير مع قوم فرأوا قطيعا من غنم، فقال: «أبوسلمة» اللهم إن كان فى سابق علمك أن أكون خليفة فاسقنا من لبنها، فلمَّا وصل إلى القطيع وجده كلّه تيوس.

ويقـول «خليفة بن خيـاط»: عزل مراون عن المدينة فى سـنة ثمانٍ وأربعين ووليها «سعيد بن العاص» فاستقضى «أبا سلمة بن عبد الرحمن «يعنى جعله قاضيًا حتى عزل «سعيد» سنة أربع وخمسين[1].

وحـدث «أبو سـلمة» - رحمـه الله - عن أبيه، وأسـامة بن زيد، وأم سـلمة، وحسان بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وابن عباس وغيرهم، كما حدث عنه ابنه «عمر بن أبى سـلمة» وابن أخيه «سعد بن إبراهيم، وابن أخيه «عبد المجيد بن سهيل» وابن أخيه زرارة بن مصعب، وعمر ابن عبد العزيز، وأبو حازم الأعرج وغيرهم كثير.

ومن الأحاديث التى رواها «أبوسلمة»: عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «لا تشـدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مسـاجد مسجدى، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى[2].

ومـن الأحاديث التى رواها «أبو سـلمة» عن أبـى قتادة أنه سمع رسول الله ﷺ: «الرؤيا من الله، والحُلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شـيئًا يكرهه فليبزق عن شماله ثلاث مرات، وليستعذ بالله من شرّها فإنها لن تضره[3]».

وتوفى رحمه الله سنة أربع وتسعين فى خلافة «الوليد بن عبد الملك ابن مروان» وهو ابن اثنتين وسـبعين سـنة، ويقول الواقدى: «إن وفاته كانت سـنة أربعة مائة وهو ابن اثنتين وسـبعين سـنة، أما «الهيثم بن

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٢٩.

(٢) رواه البخارى فى مسجد مكة باب «١» حديث رقم ١١٨٩، ومسند الإمام أحمد جـ ٣ حديث رقم ٧١٩١.

(٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده جـ ٨ حديث ٢٢٥٨٨.

عدى» فيذكر ما ذكره ابن سعد في طبقاته، وهذا القول وهو إن وفاته كانت في سنة أربع وتسعين في خلافة «الوليد بن عبد الملك بن مروان» أثبت من قول من قاله إنه توفي سنة أربع مائة وهو قول «الواقدى» و«الذهبى» في كتابه «العبر في خبر من غبر[1]» رحمه الله رحمة واسعة.

❑❑❑

(١) السير جـ ٥ ص ٢٦٦ والعبر – للذهبى جـ١ ص ٨٣ دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

زرّ بن حُبيش

الزاهد، الورع، الوافد الغادى، الذاكر فى النادى، وفد ليتعلم، وغزا ليغنم، تحمَّل الكلال طلبا للكمال، فزهد وثبت فى الوصال، وقيل إن التصوف: التحمل للكلال، والتحرز من الملال، والترويح بالوصال، «زر بن حُبيش[1]»، ابن حباشة بن أوس، الإمام القدوة، مقرئ الكوفة ويكنى «أبو مريم» الأسدى، الكوفى، ويكنى أيضًا، «أبا مطرّف».

ويذكر صاحب الطبقات فيقول: «هو زر بنّ حُبيش الأسدى» أحد بنى غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، ويكنى «أبا مريم» ويذكر «ابن عبد البر» فيقول زر بن حُبيش بن حشاشة بن أوس بن هلال، أو بلال يكنى «أبا مريم» أدرك الجاهلية، ولم ير النبى ﷺ وهو فى جلة التابعين، وهو من كبار أصحاب ابن مسعود، وأدرك «أبا بكر، وعمر و«وروى عن عمر وعلى» ، رضى الله عنهما أجمعين وكان عالمًا بالقرآن، قارئًا، فاضلاً ويعد فى الكوفيين[2] وكان رحمه الله ملازمًا لكبار الصحابة، غارفًا من بحارهم، شاربًا من حياضهم، حافظًا عنهم، راويا لهم، وفى هذا المعنى يروى لنا «زر بن حُبيش» فيقول: «خرجت فى

(١) الحلية – جـ ٤ ص ١٨١ – وسير أعلام النبلاء – للذهبى جـ٥ ص ١٧٩، والكاشف الذهبى جـ ١ ص٢٥٠.

(٢) الاستيعاب – لابن عبد البر جـ٢ ص ٥٦٣ ت/٧٨٦٩ وأيضا التهذيب جـ ٣ ص ٣٢١.

وفـد لأهل الكوفة، وأيـم الله إن حَرَّضَتنى على الوفادة إلا لقاء أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار – وفى هذا دليل على أن التابعى الجليل «زر بن حُبيش» هاجر من أجل أن يلتقى بأصحاب رسـول الله ﷺ مـن المهاجرين والأنصار – فلمّـا قدمت المدينة لزمت أبى بن كعب وعبد الرحمن بن عوف – رضى الله عنهما – مجالسا لهم، وآخذًا عنهم فلم تكـن رحلته إليهم إلا للحب والصحبة والإفـادة من علومهم وغزير معرفتهـم، والقبـس من أنوار هدايتهم ويبدو لنا من خلال تصفح سـيرة التابعـى «زر بن حُبيش» – رحمه الله – أنـه كان حريصًا على الالتقاء بصحابة رسـول الله ﷺ حبًّـا وأملا، حبًّا فى قائدهم وقدوتهم سـيدنا محمـد ﷺ وأملا فى الإفـادة من الصحابة الأجلاء مـن أمثال «أبىّ بن كعـب» و«عبد الرحمن بن عوف»: وغيرهم من الصحابة، ودليل ذلك ما يرويـه لنا «زرّ بن حُبيش»: وفدت فى خلافـة «عثمان» رضى الله عنه وإنما حملنى على الوفادة إلا لقاء أصحاب رسول الله ﷺ فلقيت «صفوان بن عسّـال» فقلت له: «لقيت رسـول الله ﷺ فقال: «صفوان بن عسّال» نعم وغزوت معه «اثنتى عشرة غزوة[1]».

وإن «زرَ بـن حُبيش» كان حريصًا علـى لقاء الصحابة والإفادة منهم وتلقى العلم منهم، وذلك بكثرة السؤال لهم ودليل ذلك ما يرويه لنا «زرَ ابـن حُبيـش» فيقول: «أتيت المدينة فدخلت المسـجد فإذا أنا بأبى بن كعب» فأتيته فقلت: «رحمك الله أبا المنذر» اخفض لى جناحك، وكان امرأً فيه شراسـة ويعنى السـؤال عن هذا الأمر، فسـألته عن ليلة القدر

(١) الحلية – جـ ٤ ص ١٨٢.

قال: «أبي بن كعب» هي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان، قلت «أبا المنذر – رحمك الله – أين علمت ذلك؟

قال: «أبي بن كعب» بالآية التي أخبرنا بها النبي ﷺ ويعني السور ذاتها ثم سألت ما آية ليلة القدر وما علامتها فقال لي: إنها تطلع الشمس حين تطلع ليس لها شعاع وحين ترتفع وبعدها.

كان «زرّ بن حُبيش» يقول للناس: «لولا مخافة سلطانكم لوضعت يدي في أذني، ثم ناديت ألا إن ليلة القدر في رمضان في العشر الأواخر، في السبع الأواخر، قبلها ثلاث وبعدها ثلاث نبأ مَنْ لم يكذبني عن نبأ مَنْ لم يكذبه يعني «أبي بن كعب» عن النبي ﷺ ويقول صاحب «تهذيب التهذيب» عن عاصم عن زر بن حبيش أنه قال خرجت في وفد من أهل الكوفة وأيم الله إن حرضتني على الوفادة إلا لقاء أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار – فلما قدمت المدينة أتيت «أبي بن كعب» و«عبد الرحمن بن عوف» وكانا جليسيَّ وصاحبيّ فقال «أبي بن كعب» يا «زرّ» ما تريد أن تدع آية من القرآن إلا سألتني عنها قال: فقلت: في أي شيء أتيته؟.. فقلت: يا أبا المنذر – رحمك الله – أخفض لي جناحك، فإنما أتمتع منك تمتعًا[1].

ويقول «زرّ بن جحش» أيضًا أتيت «صفوان بن عَسَّال، فقال: ما جاء بك؟... فقلت: «جئت أبتغي العلم قال: «ما من رجل خرج من بيته ابتغاء العلم إلا وضعت الملائكة أجنحتها رضاءً بما يعمل».

وقد نال إعجاب الكثيرين من معاصريه، وشهدوا له بالحرص على طلب العلم، والسعي في تحصيله، وملازمة العلماء من الصحابة

(١) تهذيب الكمال – جـ ٦ ص ٢٩٥.

الأجـلاء، فيروى لنا «حزم بن النعمـان» عن «عاصم» فيقول: «ما رأيت رجلا أقرأ من «زرّ بن حُبيش».

وفـي رواية أخرى ما رأيت مثله – وكان من أعلم الناس باللغة العربية حتى إن «عبد الله بن مسعود» – رضى الله عنه – كان يسأله عن العربية.

كما شـهد لـه معاصروه بالورع، وأنه قَوَّامًـا لليّل، فعن عاصم قال: «أدركـت أقواما كانوا يتخذون هذا الليل جمـلا وفى «تهذيب الكمال» كانـوا يتخـذون الليل جملاً، يلبسـن المئصفْر – من الثيـاب منهم «زر ابـن حُبيش» ويعنى بذلك أنهم كانوا يقومون بالليل راكعين سـاجدين، قائمـين، عابدين، ولربهم ذاكرين فهـؤلاء أقوام يصدق فيهم قول الحق سـبحانه ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

وقـد كتب «زرّ بن حُبيش» إلى عبد الملك بـن مروان كتابًا يعظه فيه وكان فى آخر الكتاب الذى كتبه له هذه العبارات: «ولا يطمعك يا أمير المؤمنين فى طول الحياة ما يظهر من صحتك فأنت أعلم بنفسـك واذكر ما تكلم به الأولون:

إذا الرجال ولدت أولادها وبليت من كبر أجسادها[2]

وجعلت أسقامها تعتادها تلك زروع قد دنى حصادها

فلمـا قرأ «عبد الملك بن مروان» الكتاب بكى حتى بَلّ طرف ثوبه ثم قال: «صدق» زرَ بن حُبيش «لو كتبَ إلينا بغير هذا لكان أرفق»[3].

(١) سورة السجدة آية رقم (١٦).

(٢) صفة الصفوة – لابن الجوزى جـ٢ ص ١٩.

(٣) الحلية – جـ ٤ ص ١٨٤.

وأدرك «زرَ بـن حُبيـش» الخلفاء الراشـدين – رضوان الله عليهم – أجمعين وسمع من عمر بن الخطاب – وعلى بن أبى طالب –رضى الله عنهمـا «واقتبس من علمـاء الصحابة من أمثال أبىّ بن كعب، وعبد الله ابن مسعود، وحذيفة بن اليمان – رضى الله عنهم أجمعين.

وقد عَمَّر رحمه الله – حتى إن «إسماعيل بن أبى خالد» قال: «رأيت «زرَ بن حُبيش» تختلع لَحيْاه كبرًا حيث أتى عليه عشـرون ومائة سنة وأن لحييه ليضطربان من الكبر[1].

وكان – رحمه الله – يحب «عليًا بن أبى طالب» – رضى الله عنه– ورُوِىَ فـى زهـده أن «عاصم بن أبى النجود» قال: أكثر ما رأيت «زرّ بن حُبَيش» يأتى فى ثوب واحد وقد عقده على عنقه حتى يدخل فى الصفّ مع القوم.

وكان غيورًا على الإسلام – فيروى أن رجلا من الأنصار مَرَّ على «زرّ ابن حُبيش» وهو يؤذن فقال له الأنصارى « يا أبا مريم – قد كنت أكرمك عن ذا، وفى رواية أخرى أنه قال له: «كنت أكرمك عن ذا، أو قال عن الآذان[2]» فقـال: «زرّ بن حُبيش» للأنصارى: «إذًا لا أكلمك حتى تلحق بالله»، وكان رحمه الله – ثقة كثير الحديث.

وحَدَّث –رحمه الله– عن عمر بن الخطاب و أبى بن كعب، وعثمان ابـن عفان ،وعلى بن أبى طالب، وصفوان بن عسَّـال، وآخرون وتصدَّر للإقراء، فقرأ عليه «يحيى بن وثاب، وعاصم بن بهدلة وأبو إسـحاق،

(١) الطبقات الكبرى – لابن سعد جـ ٦ ص ٧١.

(٢) تهذيب الكمال فى أسماء الرجال جـ ٦ ص ٢٩٥.

والأعمش وغيرهم – كما حدّث عنه كثرة كاثرة منهم المنهال بن عمرو، وعبده بن أبي لبابة – وعبيد بن ثابتة وآخرون وقد كان رحمه الله عالمًا بالقرآن، قارئًا، فاضلاً وقال العجلى «كان من أصحاب على وعبد الله، ثقة، وقال «أبو جعفر البغدادى» العُصْفُر: نبات سُلافته، «الجربال» وهى معلابة ويقول ابن سيده العصفر: هذا الذى يصبغ به، وعصفرت الثوب فتعصفر.

فالمعصفر من الثياب أى الثياب المصبوغة بنبات العصفر[1].

ومات –رحمه الله – سنة إحدى وثمانين، وفى طبقات خليفة مات سنة اثنتى وثمانين، قلت لأحمد «فَزرّ وعلقمة الأسود؟: «هؤلاء أصحاب ابن مسعود / وهم الثبت فيه».

ومات سنة ثلاثة وثمانين وهو ابن مائة وعشرين سنة حيث مات «بدير جماجم[2]».

وكانت وقعة الجماجم فى شعبان سنة ثلاث وثمانين بعد حياة حافلة بالعبادة والزهد، والورع، والتقوى والترحال للقاء أصحاب رسول الله والأخذ ﷺ عنهم والإفادة منهم رضى الله عنهم أجمعين.

❑❑❑

(١) لسان العرب – لابن منظور جـ ٤ ص ٢٩٧٣ وما بعدها مادة «عصفر» جـ١ دار المعارف بالقاهرة.

(٢) طبقات خليفة بن خياط، وتهذيب التهذيب جـ٣ ص ٢٧٧ وما بعدها.
قيل له دير الجماجم / لأنه كان يعمل فيه أقداح من الخشب.

الرَّبيع بن خُثَيم

القدوة العابد، والمخبت الورع، المتثبت القَنِع، الحافظ لسره والضابط لجهره، المعترف بذنبه، المفتقر إلى ربه «أبو يزيد الربيع بن خثيم» أحد الثمانية من الزهاد.

وقد قيل إن التصوف مشارفة السرائر، ومصادفة الظواهر ويكنى «أبويزيد الثورى»، الكوفى أحد أعلام التابعين رحمهم الله أجمعين.

ويذكر الذهبى فيقول: هو «الرَّبيع بن خُثَيم بن عائذ» ويروى عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود فيقول: «كان الربيع بن خثيم إذا دخل على ابن مسعود لم يكن له إذن لأحد يفرغ كل واحد من صاحبه، فقال ابن مسعود: «يا أبا يزيد لو رآك رسول الله ﷺ لأحبّك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين يعنى ابن مسعود – أننى حين أراك يا أبا يزيد ذكرتنى المخبتين الطائعين، المذعنين المنقادين لله عزَّ وجل، وتلك منقبة عظيمة للتابعى الجليل: «الرَّبيع بن خُثَيم» الثورى، الكوفى –رحمه الله–.

وكان إذا أتاه الرجل يسأله قال له: «اتق الله فيما علمت، وما استأثر به عليك فكله إلى عالمه، لأنا عليكم فى العمد أخوف منى عليكم فى الخطأ وما خيركم اليوم بخير، ولكنه خير من آخر أشر منه، وما تتبعون الخير حق اتباعه، وما تفرون من الشر حق فراره، ولا كل ما أنزل الله على محمد ﷺ أدركتم..»

ثم يقول: «السرائر السرائر اللاتى يَخْفَين من الناس وهن لله لواذ أى لاجئين إليه عائذين به، وفى القرآن الكريم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [1] التمسوا دواءهن إلا أن يتوب ثم لا يعود[2].

وروى بعض الصالحين عنه فقال: صحبت الربيع عشرين عامًا ما سمعت منه كلمة تعاب.

ويروى لنا النورى فيقول: «جالست» الربيع بن خثيم «سنين فما سألنى عن شىء مما فيه الناس إلا إنه قال لى مَّرة «أمك حية؟» ومعنى ذلك أن «الربيع ابن خثيم» ذينكم العابد الورع، والزاهد التقى، والمؤمن النقى، لا يتدخل فيما لا يعنيه، ولا يكثر السؤال فى شىء لا يهمه ولا يعود عليه بنفع، ولا يحصل من ورائه ثوابًا، وهذا خلق إسلامى ومسلك محمدى، حيث قال ﷺ «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

وقول رسول الله ﷺ: فى هذا المعنى أيضًا: «أوصانى ربى بتسع ومنها أن يكون صمتى فكرا، ولسانى ذكرا، ونظرتى عبرا».

وقول النبى ﷺ لسعد حين طلب منه أن يكون من أهل الجنة حيث قال لسعد لرسول الله عليه السلام اضمن لى الجنة، فقال له رسول الله ﷺ «يا سعد إذا ضمنت ما بين فكيك وما بين فخذيك أضمن لك الجنة».

وقد خص النبى ﷺ هذين العضوين بالذكر لأنهما من أخطر الأعضاء فى الجسد، وهما «اللسان، والفرج».

---

(١) سورة النساء آية رقم (٦٣).

(٢) سير أعلام النبلاء - للذهبى جـ ص ٢٤٣ وما بعدها.

فنـرى التابعىّ الزّاهد: «الربيع بن خثيم» يجالسـه الرجل سـنين لا يسـأله عن شـىء إلا عن أمه أهى حية أم لا، وذلك دليل شغله بالله فقط والعمل للدار الآخرة.

وكان «الرَّبيـع بـن خُثَيم»: «إذا قيل له كيـف أصبحتم؟»: «ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا[1]».

ومن حكمه الغوالى قوله: «كل ما لا يراد به وجه الله يضمحل» يعنى يقّل، ويذبل، ويفنى ويزول.

وكان «الربَّيع بن خُثَيم» رحمه الله قد أصابه الفالج، وهو مرض الشلل -سـلام قولاً من رب رحيم - فقيل له: «قد رخص لك حيث كان يقاد للصـلاة وبه هذا المرض، فقال رحمه الله: «إنى أسمع حى على الصلاة فإن اسـتطعتم فأتوها ولو حبَوًا، وقيل له مرة لو تداويت، فقال «ذكرت عـادًا وثمـودًا، وأصحاب الرس، وقرونا بين ذلـك كثير أن كانت فيهم أوجاع وكانت لهم أطباء، فما بقى المداوَى ولا المداوى إلا وقد فنى[2].

وكان إذا أخـذ عطـاءه أى ما فرض له من بيت مال المسـلمين فرقه ووزعه على الفقراء، وترك جزءًا يسـيرًا يكفيه، ولقد كان -رحمه الله- من معادن الصدق وقد جاء بن الكواء إلى الربيع بن خثيم فقال له: «دلنى علـى مَنْ هو خير منك فقال لـه: «مَّنْ كان منطقه ذكرا، وصمته تفكرا، ومسيرة تدبرا، فهو خير منى»[3].

---

(١) ذاته.

(٢) ذاته ص ٢٤٤.

(٣) الحلية جـ٢ ص ١٠٦.

وكان الربيع أورع أصحاب عبد الله بن مسعود[1].

ويروى لنا سفيان الثورى فيقول: «عن العلاء بن المسيب عن أبى يعلى الثورى قال: «كان فى بنى ثور ثلاثون رجلا، ما منهم رجل دون الربيع بن خثيم».

ويقول الشعبى: ما رأيت قومًا قط أكثر علمًا ، ولا ألفّ عن الدنيا من أصحاب عبد الله ولولا ما سبقهم من الصحابة، ما قدمنا عليهم أحدًا[2].

ومن حكمه الغوالى قوله: «أما بعد، فأعد زادك، وخذ فى جهادك، وكن وصِىّ نفسك».

وأخذ يطعم رجلا به خبل، وذهول عن النفس، فجعل يطعمه ولعابه يسيل من فمه فقيل له ما ندرى أكل هذا أم لا ، فقال «الربيع» لكن الله يدرى[3]، وقد بلغ من ورع أن عمله كان خالصًا لوجه الله، حتى إنه كان إذا قرأ فى المصحف، ودخل عليه أحد غطى المصحف بثوبه ليكون بمنأى عن الرياء ويكون العمل خالصًا لوجه الله[4].

وقد قال لأصحابه يومًا واعظًا، وناصحًا، ومرشدًا إلى الخير، والأوبة إلى الله عز وجل، ومراقبته فى السر والعلن تدرون ما الداء، وما الدواء والشفاء؟.. قالوا: لا فقال لهم: رحمهم الله: «إن الداء هو الذنوب والدواء هو الاستغفار والشفاء هو أن تتوب ثم لا تعود[5]. وكان يبكى حتى تبتلّ لحيته ويقول «أدركنا أقوامًا كنا فى جنبهم لصوصًا».

---

(١) ذاته ص ١١٧.

(٢) سير اعلام النبلاء جـ ٥ ص ٢٤٥٦.

(٣) الحلية جـ٢ ص ١٠٧ بتصرف.

(٤) ذاته بتصرف.

(٥) الحلية جـ ٢ ص ١٠٨.

ويقول – رحمه الله – «مَنْ استغفر الله تعالى كتب فى راحته أمِنَ[1] من العذاب ومَرَّ يومًا على حدادٍ فلما رأى النار لدى الحداد خَرَّ مغشيًا عليه».

وقيل له يومًا: ما نراك تغيب أحدًا ولا تذمه، فقال له ويلك يا ابن الكواء وهو الذى كان قد سأله: «ما أنا عن نفسى براض فأتفرغ من ذنبى إلى حيث إن الناس خافوا الله تعالى على ذنوب الناس، وأمنوه على نفوسهم[2]، ويقول رحمه الله: «الناس رجلان: مؤمن وجاهل، فأما المؤمن فلا تؤذه، وأما الجاهل فلا تجاهله، وقد سُرِق له فرسٌ يومًا فقال أهل مجلسه ادع الله عليه، فقال الربيع بن خثيم بل أدعو الله له: «اللهم إن كان غنيًا فأقبل بقلبه، وإن كان فقيرًا فأغنه[3]».

وكان يقول – رحمه الله –: «أكثروا ذكر هذا الموت الذى لم تذوقوا قبله مثله ويقول ما غائب ينتظره المؤمن خير من الموت».

ولما حضر الربيع الموت، بكت ابنته عليه فقال: يا بنيه لم تبكين؟!.. يا بشراى أتى الخير وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه إذا رأى الربيع بن خثيم قال: وبشر المخبتين، وإذا رأى أبا وائل قال: «التائب»[4] وكان كثير البكاء، والسهر فرقت أمه لحاله فقالت له يا بنى لعلك قتلت قتيلا!، فقال نعم قد قتلت قتيلا، قالت أمه: ومَنْ هذا القتيل يا بنى حتى يتحمل على أهله فيعفون؟.. والله لو يعلمون ما تلقى من البكاء

(١) ذاته ص ١٠٩.

(٢) ذاته ١١٠.

(٣) ذاته ص ١١١.

(٤) ذاته ص ١١٤.

والسهر بعد لقد رحموك فيقول لها الربيع: يا والدتى ليس قتيلاً حقًا كما تظنين، وتتوهمين إنما قتلت نفسى ذلك هو القتيل[1] نعم إنه قتل نفسه الأمارة بالسوء، وارتقى بها إلى العالم العلوى ضاربًا بالدنيا وجه عشاقها، ومسلمًا الأمور لأربابها، فهنيئًا لمن قتل نفسه، وكبح جماح شهواته فيكون بذلك قد رضى عن الله ورضى الله عنه، وسعد فى دنياه، ونجا من العذاب فى آخراه وكان رحمه الله إذا سجد فى صلاته كأنه ثوب مطروح، فتجىء العصافير فتقع عليه، وكان يقول للسائل إذا جاءه: «اطعموه سكرًا فإن الربيع يحب السكر، ويعنى بالسكر: «الاستغراق فى حب الله بكليته».

وسئل عنه بعض الصالحين أأنت أكبر أم الربيع؟ فقال لهم: «أنا أكبر منه سنًا، وهو أكبر منى عقلاً[2] وقد جاءته ابنته يومًا فقالت له: «يا أبتاه أذهب ألعب؟.. فقال لها اذهبى فقولى خيرًا».

وكان رحمه الله كريمًا، متصدقًا حتى لقد روى عنه - أنه كان لا يعطى السائل أقل من رغيف ويقول: «إنى لأستحيى من ربى عز وجل أن أرى غدا فى ميزانى نصف رغيف[3]».

ولقد روى رحمه الله عن: «عبد الله بن مسعود، وأبى أيوب الأنصارى، وعمرو بن ميمون وهو قليل الرواية إلا إنه كبير الشأن.

وروى عنه «الشعبى، وإبراهيم النَخَعِى، وهلال بن سياف، ومنذر التورى وهيدة بن خزيمة وآخرون».

---

(١) الحلية جـ ٤ ص ١٠٢.

(٢) ذاته ص ١١٥ بتصرف.

(٣) ذاته ص ١١١.

ومـن الأحاديث التى رواها رحمـه الله «عن الربيع بن خثيم» عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه – عن النبى صلى الله عليه وسلم – أنه خطّ خطًا مربعًا وجعل فى وسـط الخط خطًا : وجعل خطًا خارج من الأربعة دارة وجعل حوله حُرُوفًا وخط حولها خطوطًا فقال: «المربع الأجل، والخط الوسـط الإنسـان وهذه الدائرة الخارجة «الأمل» وهذه الحـروف «الأغراض» فالأغراض تصيبـه من كل مكان كلما انفلت من واحدة أخذت واحدة والأجل قد حال دون الأمل[1].

وتوفى رحمه الله سـنة خمس وسـتين للهجرة، وقيـل فى التذكرة «مات فى خلافة يزيد بن معاوية» وفى الكاشف أنه مات قبل السبعين رحمه الله رحمة واسعة وجعله قدوة للشباب المسلم.

□□□

(١) الحليـة جـ ٢ ص ١١٧ – تذكـرة الحفاظ – للذهبى جـ ١ ص ٥٧، والكاشـف جـ ١ ص ٢٣٥ وتاريخ الإسلام فى إعداد الطبقة السابعة وفيات ٦١/ ٨٠ ص ١١٥ ت/ ٣٢، تهذيب الكمال جـ ٦ ص١٣٠ ت/ ١٨٤٢، تقريـب التهذيـب جـ ٢ ص ٢٩٨، تهذيب التهذيب جـ١٠ ص ٤٢٤، تاريخ البخارى الكبير جـ ٨ ص ١٣٨.

وكيع بن الجراح

ومن التابعين الأجلاء، الزَّاهد النُّصَّاح، الورع المفصاح «وكيع بن الجَّراح»، ويكنى «أبا سفيان»، ويذكره ابن سعد فيقول: «هو وكيع بن الجراح بن مليح بن عدى بن الفرس بن سفيان بن الحارث بن عمرو ابن عبيد بن رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، ويكنى «أبا سفيان».

حجّ رحمه الله سنة ست وتسعين ومائة ولحق بربه عز وجل بعد منصرفه من الحج، فى مكان اسمه «فَيْد» فى شهر المحرم سنة سبع وتسعين ومائة يعنى بعد أدائه لمناسك الحج بسنة تقريبًا.

وكان ذلك فى خلافة «محمد بن هارون» وكان - رحمه الله - ثقة مأمونًا، عالمًا، رفيعًا، كثير الحديث، كما أنه كان حُجة[1] رحمه الله.

كان يُشهد له بالعلم والبراعة والإتقان لقراءة القرآن الكريم، فلقد سئل عنه ابن المبارك مَنْ رجل الكوفة اليوم؟.. فسكت ابن المبارك وأجاب سائله بقوله رجل المقرئين ابن الجراح يعنى «وكيعًا» وقال عنه «الإمام أحمد بن حنبل» : «ولو إنك رأيت وكيعًا رجلا لم تر بعينيك مثله قط[2]».

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٦ ص ٢٧٥ بتصرف وحلية الأولياء/ لأبى نعيم جـ ٨ ص ٣٦٨.

(٢) ذاته بتصرف.

ويقـول «يحيى بن معين» : سمعـت وكيعًا يقول : ذهبت إلى أبى بكر ابن عيـاش ومعى أحمد فانتخبت عليه أحاديث، فلما حدثنا به وقمنا قال أبو بكر : «لأحد الجالسين بجواره تدرى من انتخب هذه الأحاديث؟.. ثم استطرد قائلا: انتخبها رجل أى رجل يريد أن يقول: إن هذه اختارها رجل حاذق فى العالم، ماهر بدروب الأحاديث،مشهود له فى هذا المضمار، وهو ثبت، حجة، ثقة، وهذه شهادة من أولى العلم «لوكيع» – رحمه الله –.

وكانت له منزلة سامقة، عالية، ومكانة شامخة رفيعة بين علماء عصره، قـد احتل مكانة مرموقـة بين العلماء وطلاب العلم حتـى إنه جلس مكان «سـفيان الثورى» بعد رحيله، لينهل طلاب العلم من غزير معارفه، ووفرة علومه، ولولا أنه صاحب قدم راسـخة فى العلـم والمعارف، وفى مقدمتها «القرآن الكريم» ما اسـتطاع أن يجلس مكان «سـفيان الثـورى» وما أدراك ما «سـفيان الثورى» ورعًا، وزهدًا، وخلقًا، وحكمة، وعلمًا،كما كان «وكيع ابـن الجرَّاح» –رحمه الله– زاهداً، ورعًا، كثير الخشـية من الله عز وجل لذلك ترى السائب بن جنادة يقول: جالست «وكيع بن الجرّاح» سبع سنين فمـا رأيتـه بزق يعنى بصق على الأرض وما رأيتـه مسَّ والله حصاة بيده، وما رأيته جلس مجلسـه فتحرك، وما رأيته إلا مسـتقبل القبلة، وما رأيته يحلف بالله.

وإن دلّ هذا فإنما يدل على شـدة ورع «وكيع بن الجراح» حيث إنه لم يبصق على الأرض قط لعلمه أن الأرض تسبح لله يقول تعالى ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾[1] علمـا بـأن

(١) سورة الإسراء آية رقم (٤٤).

صوفيا نُهى عن البصق على الأرض فقالوا له: لا تبصق على الأرض لأنها تسبح لله، فبصق ذلك الصوفيّ على الأرض وقال لمن ينهاه عن ذلك «مسبّح بمسبّح» يعني أن الأرض تسبح لله وأنا أيضاً أسبح لله، فاختلط مسبّح بمسبّح، وذلك دليل على ورع «وكيع» وما رآه يحلف بالله عملا بقول الحق سبحانه ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴿٢٢٤﴾﴾ (البقرة: ٢٢٤) ويقول قتادة رضى الله عنه: فى تفسير قوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ (الأنعام: ١٠٩) من حلف بالله فقد جهد اليمين يعنى من أقسم بالله فقد أقسم بأغلظ الأيمان وأقواها، وينبه النبى ﷺ إلى أن الحلف الحقيقى لا يكون إلا «بالله» فيقول عليه الصلاة والسلام «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليذر» وفى رواية أو ليصمت.

ولزهده، وورعه وتقواه يقول عنه « الحسين بن أبى يزيد» صاحبت «وكيع بن الجراح» إلى مكة فما رأيته متكأ، ولا رأيته نائمًا فى محمله[1] وكانوا يسمونه براويل «سفيان الثورى».

وقيل «لوكيع» أنت رجل قديم الصيام، وأنت كذا وكذا فعلى ماذا؟ فقال «وكيع» -رحمه الله- بفرحى على الإسلام[2].

وحرىّ بالعارف الزاهد «وكيع بن الجراح» أن يقول ذلك لأن الإسلام من كبرى النعم التى أنعم الله بها على المسلمين، يقول الله عز وجل ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾﴾[3]

(١) الحلية جـ ٨ ص ٣٦٩.

(٢) ذاته.

(٣) سورة المائدة آية رقم (٣).

فما دام، العبد مسلمًا، موحدًا فإن ذلك نعمة أنعمها الله عز وجل عليه حيث هداه للإيمان، ووفقه للإسلام، وجنبه الشرك نعوذ بالله منه وكان - رحمه الله - محافظًا على الصلاة، وكان يقول: «مَنْ لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها لم يكن وقرها يعنى لم يكن أعطاها حقها».. وقال أيضًا: «مَنْ تهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل يديك منه، ويقول عنه «مروان» ما وصف لى أحد إلا رأيته دون الصفة التى وصفت لى إلا «وكيع بن الجراح» فإننى رأيته فوق ما وصف لى[1].

وقد ناظره، وناقشه، وحاوره رجل يومًا فى شىء من أمر المعاش أو الورع، فقال له «وكيع» من أين تأكل؟.. فقال له الرجل: «آكل من ميراث ورثته عن أبى، فقال له «وكيع»: «من أين هو لأبيك»؟.. فقال الرجل «لوكيع»: ورثه عن أبيه، فقال له «وكيع بن الجرَّاح»: لو أن رجلا نذر لا يأكل إلا حلالا، ولا يلبس إلا حلالا، ولا يمشى إلا فى حلال لقلنا له: «اخلع ثيابك وارم بنفسك فى نهر الفرات، ولكن لا تجد إلا السعة، ثم قال وكيع، لو أن رجلا بلغ فى ترك الدنيا مثل «سلمان الفارسى»، وأبى ذر الغفارى، وأبى الدرداء، ما قلنا زاهدا، لأن الزهد لا يكون إلا على ترك الحلال المحض، والحلال المحض لا نعرفه اليوم، فالدنيا عندنا حلال، وحرام، وشبهات، فالحلال حساب، والحرام عذاب، والشبهات عتاب، فانزل الدنيا بمنزلة الميتة، وخذ منها ما يقيمك، فإن كانت حلالا كنت قد زهدت فيها، وإن كانت حراما كنت قد أخذت منها ما يقيمك يعنى ما تحتاج إليه من قوت، وطعام وشراب،

(١) ذاته ص ٣٧٠ بتصرف.

ولباس، لأنه لا يحل لك من الميتة إلا قدر ما يقيمك، وإن كانت شبهات كانت فيها عتاب يسير، فوكيع هنا يشتد فى الزهد والورع، فيطالبنا جميعا بأن نجعل الدنيا فى نظرنا مثل الميتة التى لا يجوز أكلها إلا فى حالة الاضطرار بمعنى أنه من الواجب على المسلم ألا يتعلق بالدنيا كل التعلق، بل يأخذ منها ما يقيم أوده ويغنيه عن السؤال أو الحاجة إلى الناس فشبه الدنيا بالميتة التى لايجوز تناولها إلا فى حالة الاضطرار كذلك الدنيا تأخذ منها بقدر ما يسد حاجياتك فإنها متاع الغرور وكان يعظ الناس قائلا: «إنما العاقل من عقل عن الله أمره» وليس من عقل أمر دنياه، ويروى عنه ابنه «مليح ابن وكيع» فيقول: لما نزل بأبى الموت أخرج إلىَّ يده، فقال ترى يدىَّ!، ما ضربت بها شيئاً قط قال «مليح» وحدثنى داوود بن يحيى بن يمان فقال: رأيت رسول الله ﷺ فى النوم فقلت له: يا رسول الله مَنْ الأبدال؟.. فقال عليه الصلاة والسلام: الذين لا يضربون بأيديهم شيئًا وإن وكيع بن الجرَّاح منهم[1].

أرأيت منزلة «وكيع بن الجرَّاح» ؟! حقًا إنه من الزُّهّاد الأوائل الذين أنزلهم الورع هذه المنزلة حيث رأى ابن يمان رسول الله -عليه السلام- وهو الذى يقول: من رآنى فقد رآنى حقًا فإن الشيطان لا يتمثل بى فسأله عن الأبدال فأجابه بقوله: هم الذين لا تمتد أيديهم بأذى لأحد من خلق الله، وإن «وكيع بن الجراح» من هؤلاء.

(١) الحلية جـ ٨ ص ٣٧١.

فهذه شهادة من رسول الله ﷺ «لوكيع»، وسئل ابن المبارك عنه فقيل له: يا أبا عبد الرحمن: مَنْ خلَّفت بالعراق قال «وكيع»، وقلت ثم مَنْ؟.. قال ثم «وكيع» يعنى لا أحد سوى «وكيع» يسد مسده فى العلم والحديث والفتوى، وقراءة القرآن.

وقد أسند «وكيع» عن الأئمة والأعلام ما لا يحصى من الأحاديث ولا يُعَدّ، ومن الأحاديث التى رواها «وكيع» عن إسماعيل بن أبى خالد قال «سمعت ابن أبى أوفى يقول لو كان بعد النبى ﷺ ما مات ابنه[1]، وأيضًا من رواياته قول النبى عليه الصلاة والسلام إذا أراد الله قبض عبدًا بأرض جعل له إليها حاجة[2].

لقد كانت حياة «وكيع بن الجراح» حياة عامرة بالإيمان، مزدانة بالتقوى مرصعة بخشية الله عز وجل فهو بحق إمام، وقدوة حسنة لشبابنا المسلم الذى هو فى مسيس الحاجة إلى جرعة روحانية، ودفعة إيمانية تحفزه إلى العبادة، والطاعة، والوقوف شامخا كالطود الشامخ، والجبال الراسيات أمام الرياح الهوج، رياح الفتن والغزو الفكرى، والدعاوى المسمومة والشبهات الباطلة التى تهب علينا فى هذا العصر من كل مكان مستهدفة إسلامنا وشبابنا، ولكن ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾[3].

❑❑❑

(١) الحلية جـ ١ ص ٣٧٤.

(٢) ذاته ص ٣٧٤.

(٣) سورة الرعد آية رقم (٣).

ابن السَّمَّاك

هو التابعى الجليل، والزاهد الورع، والقدوة فى العبادة، سيد الوعَّاظ «محمد بن صبيح العِجْلِى» «ابن السماك»، ويكنى «أبو العباس»، يقول عنه الذهبى: قال ابن نمير: «صدوق»، وقال مرَّة ليس حديثه بشىء[1].

ومن حكمه التى تدل على زهده فى الدنيا، وورعه وخشيته لله عز وجل قوله: «الذُّباب على العذرة أحسن من القارئ على أبواب الملوك» ومن حكمه الصائبة قوله «ويحك أما تغدو فى كسب الأرباح، فاجعل نفسك فيما يُكسب[2]» -وكان رحمه الله- رأسًا فى الوعظ والإرشاد، والدعوة والعمل على هداية العباد، وقد حدث أنه وعظ «هارون الرشيد» يومًا فغشى عليه وقد كان «هارون الرشيد» رقيق القلب، تبكيه الموعظة فقد حدث أن أخًا له يدعى «بهلول» دخل عليه ذات يوم وأخذ يعظه، فطلب أمير المؤمنين «هارون الرشيد» ماءً ليشرب فقال له «بهلول» يا أمير المؤمنين «ترى لو منع عنك هذا الماء بكم كنت تشتريه، فقال «هارون الرشيد» بنصف مملكتى فقال له اشرب هنيئًا فلما هوى بالإناء عن فيه قال له «بهلول»: يا أمير المؤمنين: «ترى لو حبس هذا الماء فى بطنك بكم كنت تشترى نزوله؟» فقال له هارون: «بنصف مملكتى فقال له «بهلول»: «إذًا ففيم اغترارك فى مملكة لا تساوى إلا بولة واحدة -

(١) ميزان الاعتدال جـ٣ ص ٥٤٣ - وسير أعلام النبلاء / للذهبى جـ٧ ص٥٦٦.

(٢) ذاته هامش ص ٥٦٧.

إنها - دولة بيعت ببولة وأخذ «هارون الرشيد» يبكى بكاء مُرًّا، وينتحب انتحابًا شديدًا فقال أحد الجالسين: «كفى فقد أجهدت أمير المؤمنين اليوم، فقال «بهلول» «مَنْ يا أمير المؤمنين؟» فقال له «هارون» هذا أخوك «سليمان بن مجالد» فقال «بهلول» هذا أخ للشيطان، يا أمير المؤمنين هؤلاء كتموا عنك النصيحة، واتخذوك سلمًا لشهواتهم فكنت كالآخذ بالقرنين وغيرك يحلب.

ومن حكم «ابن السَّماك» قوله: «كم من شىء إذا لم ينفع لم يضر، لكن العلم إذا لم ينفع ضَرَّ»، ومن مواعظه النافعة أنه قال يومًا لأمير المؤمنين: يا أمير المؤمنين: «إن لك بين يدى الله مقامًا، وإنه لك من مقامك منصرفًا فانظر إلى أين تكون، فبكى «الرشيد» كثيرًا»[1].

ودخل «ابن السَّماك» على رئيس فى شفاعة لفقير فقال: «إنى أتيتك فى حاجة والطالب والمعطى عزيزان، إن قضيت الحاجة، ذليلان إن لم تقض، فاختر لنفسك عزّ البذل عن ذُلّ المنع، وعزّ النجح على ذلّ الرّدّ.

وكان يقول أيضا - رحمه الله - «همة العاقل فى النجاة والهرب، وهمة الأحمق فى اللهو والطرب، عجبًا لعين تلذّ بالرمَاد، وملك الموت معها على الوساد، حتى متى يبلغن الوعاظ أعلام الآخرة، حتى كأن النفوس عليها واقفة، والعيون ناظرة، أفلا منبه من نومته، أو مستيقظ من غفلته، ومفيق من سكرته، وخائف من صرعته، كدحًا للدنيا كدحا، أما تجعل للآخرة منك ظنًا، أقسم بالله لو رأيت القيامة تخفق بأهوالها،

---

(١) سير أعلام النبلاء / للذهبى جـ٧ ص ٥٦٧ - العبر فى خبر من غبر جـ١ ص٢٢١ دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

والنار مشـرقة على آلها، وقد وضع الكتاب، وجىء بالنبيين والشـهداء لسـرك أن يكـون لك فى ذلك الجمع منزلة، أبعـد الدنيا دار محتمل، أم إلى غـير الآخـرة منتقل؟.. هيهات ولكن صمـت الآذان عن المواعظ، وذهلت القلوب عن المنافع، فلا الواعظ ينتفع، ولا السامع[1].

ومـن مواعظه أيضًا «هب الدنيـا فى يديك، ومثلها ضمّ إليك، وهب المشـرق والمغـرب يجيىء إليك، فإذا جاءك المـوت فماذا فى يديك؟!، ألا من امتطى الصبر، قوى على العبادة، ومن أجمعه الناس اسـتغنى عن الناس، ومن أهمته نفسه لم يول مرمتها غيره، ومن أحبَّ وفق له، ومن كره الشـرَّ، جُنِّبه ألا متأهب فيما يوصف أمامه، ألا مستعد ليوم فقره، ألا مبادر فناء أجله، ما ينتظر من ابيضت شـعرته بعد سـوادها وتكرّش وجهه بعد انباسـطه، وتقوس ظهره بعـد انتصابه، وكلّ بصره وضعف ركنه، وقل نومه، وبلى منه شـىء بعد شىء فى حياته، فرحم الله امرأ عقل الأمر، وأحسن النظر، واغتنم أيامه.

ومن مواعظه الحكيمة، والجليلة النفع، والكثيرة الفائدة، والمقبوسة من الكتاب والسنة قوله رحمه الله: «الدنيا كلها قليل، والذى بقى منها قليل، والذى لك من الباقى فقليل، ولم يبق من قليلك إلا قليل، وقد أصبحت فى دار العزاء، وغدًا تصير إلى دار الجزاء فاشتر نفسك لعلك تنجو[2].

وقـد كان - رحمـه الله - مـن رواة الحديث عـن الصحابة الذين أدركهـم فى حياتـه- رضى الله تعالى عنهم أجمعـين - فقد روى عن «هشام بن عروة والأعمش»، ويزيد بن أبى زياد وغيرهم، كما روى عنه

(١) ذاته ص ٥٦٧.

(٢) ذاته ص ٥٦٨.

«يحيى بن يحيى»، وأحمد بن حنبل ويحيى بن أيوب العابد، ومحمد بن عبد الله ابن نمير، وآخرون» ومن بين الأحاديث التى رواها -رحمه الله- حدثنا «محمد السَّماك» عن يزيد ابن زياد ، عن المسيب بن رافع ابن مسعود -رضى الله عنه- قال قال: رسول الله ﷺ : «لا تشتروا السمك فى الماء لأنه غرر» يعنى مجهول ولا تعرف كيفيته، ولا نوعيته، ولا حجمه ولا وزنه، وهل هو طيب أم غير طيب.

فذلك نهى الإسلام عن شرائه فى الماء، ولذلك يقول النبى - عليه الصلاة والسلام - : «مَنْ اشترى ولم ير فله الخيار إذا رأى» ومعنى الحديث أنك إذا اشتريت سلعة من السلع أو حيوانًا أو بضاعة، أو غير ذلك ولم ترها فلك الخيار إذا ما رأيتها بين إنفاذ البيع، وبين الرجوع فيه، فأنت بذلك بالخيار بين إنفاذ البيع أو الرجوع فيه لأنك اشتريته دون أن تراه، وتلك حكمة الإسلام، وعدله وسماحته فى البيوع.

وتوفى رحمه الله سنة ثلاث وثمانين ومائة وقد تقدمت سنه، وامتد به الزمن رحمه الله.

❑❑❑

عمرو بن ميمون الأودى

ومن أجلّة التابعين – رحمهم الله – المتحمل للعناء، العاشق للقاء، للفوز بالرضوان فى دار البقاء، كان للحياة مستبقًا، وللعبادة معتنقًا ضرب بالدنيا وجه عشاقها، وسلم الأمور لأربابها، ذينكم العابد الزّاهد، والتّقى الورع «عمرو بن ميمون الأودى المذحجى الكوفىّ»، ويقول ابن سعد: «الأودى» وهو «أود بن صعب بن سعد العشيرة من مذحج، وهو الإمام الحجة، ويكنى «أبو عبد الله».

ويقول عنه صاحب الكاشف: «كان عمرو بن ميمون الأودى كثير الحَجِّ والعبادة وهو راجم القردة[1]، وقد حج «عمرو بن ميون الأودى» مائة حجة وعمرة وعن أبى إسحاق أن «عمرو بن ميمون» حج ستين حجة وعمرة، وأنه كان يتمنى الموت ولقد نهى رسول الله ﷺ عن تمنى الموت بسبب ضرّ نزل به، وإن كان لا بأس به أى بتمنى الموت لخوف الفتنة فى الدين، فعن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتمنّ أحدكم الموت إما محسنا، فلعله يزداد، وإما مسيئا فلعله يستعتب[2]، وفى رواية أخرى لمسلم عن أبى هريرة – رضى الله

(١) سير أعلام النبلاء جـ ٦ ص ١٧٢، وحلية الأولياء جـ٤ ص ١٤٨، وطبقات ابن سعد جـ ٦ ص ٨٠ والكاشف جـ٢ ص٢١٦، والعبر جـ ١ ص ٨٥، تهذيب الكمال جـ١٤ ص ٣٥٠، وتذكرة الحفاظ جـ١ ص ٦٥.

(٢) رياض الصالحين / للنووى ط دار الوفاء ص ١٧٥ باب كراهة تمنى الموت وهو متفق عليه وهو لفظ البخارى.

عنه - رسول الله ﷺ قال: «لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله وإنه لايزيد المؤمن عمل إلا خير[1]»، وعن أنس - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنينّ أحدكم الموت لضرّ أصابه، فإن كان لابد فاعلا، فليقل «اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرًا لى، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرًا لى[2]».

وعن قيس بن أبى حازم قال: دخلنا على «خبّاب بن الأرتّ» -رضى الله عنه- نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال «إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا، ولم تنقصهم الدنيا، وإنا أصبنا ما لا نجد له موضعًا إلا التراب، ولولا أن النبى ﷺ نهانا أن ندعوا بالموت لدعوت به، ثم أتيناه مرة أخرى وهو يبنى حائطًا له، فقال: «إن المسلم ليؤجر فى كل شىء ينفقه إلا فى شىء يجعله فى هذا التراب[3]».

ولكأنه كان يتمناه حتى لا يعيش مع الأشرار من خلق الله، فكان يقول «اللهم لا تخلفنى مع الأشرار، والحقنى بالأخيار»، ولا حرج فى ذلك ولا إثم فى ذلك الطلب، وقد تمنى الخليل إبراهيم عليه السلام أن يكون مع الصالح بمنأى عن المجرمين والظالمين فقال القرآن على لسانه ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾[4]

---

(١) ذاته

(٢) ذاته.

(٣) ذاته والحديث متفق عليه - وهذا لفظ رواية البخارى.

(٤) سورة الشعراء آية رقم (٨٥).

وقال تعالى فى سورة الصافات ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[1].

وقد تمنى إبراهيم - عليه السلام - ذرية صالحة، فاستجاب الله له فوهبه غلامًا وأخبر عنه أنه سيكون حليمًا، وأنه سيبلغ الحُلُمُ، ولقد كان ذلك الغلام أسوة حسنة للشباب المسلم فى الصبر وطاعة الوالدين.

ولقد علّل عمرو بن ميمون الأودى طلبه للموت فقال إنه كان لا يتمنى الموت حتى أرسل له «يزيد بن أبى مسلم» فتعنته، ولقى منه شدة وقساوة، ولم يكد أن يدعه ثم تركه بعد ذلك وكان يقول: «أتمنى الموت، اللهم ألحقنى بالأبرار، ولا تخلفنى مع الأشرار، واسقنى من خير الأنهار[2]».

وأعتقد أنه يريد «بخير الأنهار «نهر الكوثر» الذى يقول فيه الحق سبحانه ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴾ (الكوثر: ١ - ٣).

وكان «عمرو بن ميمون» إذا دخل المسجد ذكر الله عز وجل ويقول أيضًا -رحمه الله- المساجد بيوت الله، وحق على المزور أن يكرم زائره، وعن عمرو بن ميمون أنه قال: «لم تعجل موسى - عليه السلام- إلى ربّه رأى رجلا فى ظل العرش فغبطه بمكانه، وقال: «إن هذا لكريم على ربه - عز وجل - فسأل ربه أن يخبره باسمه، فأخبره فقال: «لكن سأنبئك من عمله» يعنى سأخبرك بالفائدة المرجوة، وأنه كيف وصل إلى

(١) سورة الصافات الآية رقم (١٠٠، ١٠١).

(٢) الحلية جـ ٤ ص ١٤٨ بتصرف.

هذه المكانة، ونال تلك الرتبة، واستحق ذلك الوسام الرفيع من الله عز وجل - ثم قال له: «السرَّ الذى أوصله إلى هذا المقام هو أنه كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولا يمشى بالنميمة، ولا يعق والديه، كما كان «لعمر بن ميمون» رأى فى التفسير فقال فى قول الحق عز وجل: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ (الفتح:٢٦) يقول «ابن ميمون» المراد بكلمة التقوى التى ألزمهم بها هى «لا إله إلا الله» ويقول أيضًا: «ما تكلم الناس بشىء أعظم من لا إله إلا الله».

فحين سمعها «سعيد بن عياض» قال «تدرى ما هى؟.. هى والله الكلمة التى ألزمها «محمدًا وأصحابه»، وكانوا أحق بها وأهلها، أى كانوا أحق بها، وكانوا أيضًا أهلا لها، وأهلا للقيام بمتطلباتها من صلاة، وصوم، وطاعة، وزهد، وورع، وخوف من الله - عز وجل - فتجافت جنوبهم عن المضاجع خوفا من عذابه، وطمعا فى رحمته ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (السجدة:١٦) ويقول فى قوله سبحانه وتعالى ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ (الرحمن:٧٢)، أى خيمة من لؤلؤ واحدة قصورها وأبوابها منها[1].

وقول تعالى ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الواقعة:٣٠) قال الظل الممدود مسيرة سبعين ألف سنة، وفى رأينا ليست المسألة بالتعداد، وغنما هو إخبار للمؤمنين، وعطاء للموحدين بأنه لا حدود، ولا مسافات، ولا حظر على عطاء الله - عز وجل - لعباده الذين يخشونه بالغيب، ويؤمنون به

(١) الحلية جـ ٤ ص ١٤٩ بتصرف.

ولا يشركون به شيئًا، وزهدوا فى الدنيا، وأقبلوا على الله بإيمان راسخ، وقلوب مطمئنة، وأفئدة تبلها الوجد والغرام، والحب والعشق لات الله - عز وجل - والتمسك بسنة نبينا، وقدوتنا - سيدنا محمد ﷺ ومن حكمه العوالى، وكلماته الغوالى قوله : «ما يسرنى أن أمرى يوم القيامة إلى أبوىَّ» فإن أبواه لا يغنيان عنه من الله شيئًا، أما الله عز وجل فهو الرحيم بعباده، الغفار لذنوبهم، الذى يدخلهم جنات عرضها السماوات والأرض، وكان «عمرو بن ميمون» رحمه الله قد كبرت سنه، وشق عليه تحمل العبادة، وسهر الليل فى التضرع إلى الله فوضع وَتَدًا فى الحائط حتى إذا سئم وتعب من طول القيام استمسك به، أو يربط حبلا فيتعلق به، وكان يقول مناجيًا ربه: «اللهم إنى أسألك السلام والإسلام، والأمن والإيمان، والهدى واليقين والأجر فى الآخرة والأولى[1]».

ومن حكمه أيضًا قوله «ثلاثة ارفضوهن ولا تتكلموا فيهن النذور والنجوم، وعلى وعثمان[2]»..

وقد حدَّث «عمرو بن ميمون» عن عمر ، وعلى وابن مسعود ، ومعاذ ابن جبل وأبى هريرة، وأبى أيوب الأنصارى، وطائفة غيرهم - رضى الله عنهم أجمعين.

كما روى عنه الشعبى، وأبى إسحاق، وحصين بن عبد الرحمن ، وعيدة بن أبى لبابة، ومحمد بن سوقه، وسعيدة بن جبير وآخرون[3].

---

(١) الحلية جـ ٤ ص ١٥٠ بتصرف.

(٢) الحلية جـ ٤ ص

(٣) السيرة جـ ٥ ص ١٧٣.

وعن «عمرو بن ميمون» أنه قال : «شهدت عمر بن الخطاب» غداة طعن فكنت فى الصف الثانى وما منعنى أن أكون فى الصف الأول إلا هيبته، وكان يستقبل الصف الأول إذا أقيمت الصلاة، فإن رأى إنسانا متقدمًا أو متأخرا أصابه بالدِرّة، فذلك الذى منعنى أن أكون فى الصف الأول فكنت فى الصف الثانى، فجاء «عمر» يريد الصلاة، فعرض له «أبو لؤلؤة» فناجاه غير بعيد ثم تركه، ثم ناجاه ثم تركه، ثم ناجاه ثم تركه ثم طعنه[1].

وعن «عمرو بن ميمون» عن «عمر بن الخطاب» - رضى الله عنه- أنه قال : إن رسول الله ﷺ قال: «ما ساء عمل قوم إلا زخرفوا مساجدهم»[2].

وعنه - أيضًا - عن عبد الله بن مسعود قال: كان النبى ﷺ إذا دعا، دعا ثلاثًا، يعنى يكرر الدعاء ثلاث مرات، وإذا سأل سأل ثلاثًا[3] وعنه عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ - أنه قال فى قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴿٤٨﴾ ﴾ (إبراهيم: ٤٨)، قال تبدل بأرض بيضاء كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام، ولم يعمل فيها خطيئة.

وعنه عن أبى هريرة قال قال النبى ﷺ: «من سرّه أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله».

---

(١) الحلية ذاته ص ١٥١.

(٢) ذاته ص ١٥٢.

(٣) ذاته ص ١٥٢.

وعنه عن أبى أيوب الأنصارى قال: قال رسول الله ﷺ: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»[1].

وتوفى - رحمه الله - بعد حياة زاخرة بالإيمان، عامرة بالصلاح حافلة بالعبادة والزهد، والورع والتقوى مما يؤهله لأن يكون قدوة حسنة لشبابنا المسلم وخاصة فى هذا العصر الذى يموج بالتيارات والفتن حيث كانت وفاته سنة خمس وسبعين للهجرة وقيل سنة ست وسبعين وقال أبو نعيم وغيره سنة أربع وسبعين[2] رحمه الله رحمة واسعة.

□□□

(١) ذاته ص ١٥٤.

(٢) السير جـ ٥ ص ١٧٤.

عمرو بن عتبة

ومن جملة التابعين المجاب المستشهد، والزاهد الورع «عمرو بن عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعة السلمى» وعتبة بن فرقد يكنى «أبو عبد الله» ويقول ابن سعد «يربوع» هو «فرقد» و«عتبة بن فرقد» والد «التابعى» «عمرو» وهو يعنى «عتبة بن فرقد صحابى جليل»، صحب رسول الله ﷺ. كما كان من المجاهدين البواسل حيث فتح «الموصل» بالعراق سنة ثمانى عشرة مع «عياض بن غَنْم» وأسس «الموصل» دارًا ومسجدًا، وغزا مع رسول الله ﷺ غزوتين، وشهد «خيبر» وكان - رضى الله عنه - جوادا، كريمًا، حيث قسم له النبى ﷺ فى «خيبر» وأعطاه نصيبًا من غنائمها وكان «عتبة بن فرقد» يعطيه لبنى أخواله عاما، ولبنى أعمامه عاما، كما فتح - رضى الله عنه - «أذربيجان» والتى تقع الآن فى «روسيا» والتى دخلها الإسلام مبكرًا، فى عهد الخليفة الراشد «عمر بن الخطاب» رضى الله عنه[1].

وقد رأينا أن والد التابعى الجليل «عمرو بن عتبة» هو الصحابى الجليل «عتبة بن فرقد» فلا غرو، ولا عجب فى أن يجيىء الابن شبيهًا لأبيه فى الزهادة، والورع، والتقوى، والجهاد فى سبيل الله، وكما يقول

(١) الحلية جـ ٤ ص ١٥٥، الاستيعاب / لابن عبد البر جـ ٣ ص ١٠٢٩، أسد الغابة جـ ٣ ص ٤٦٢- الطبقات الكبرى/ لابن سعد جـ ١ ص ٢٨٥، الإصابة جـ ٤ ص٣٦٤، تجريد الأسماء الصحابة / للذهبى جـ ١ ص ٣٧١ والثقات للبستى جـ ٣ ص ٢٩٧، تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ١٠١.

المثل العربى «العصا من العصية» ويقول: وهل تغرس إلا فى منابتها النخل، والشىء من معدنه لا يستغرب وهذا الشبل من ذاك الأسد أى والله إنه الأسد فى التقوى، وخشية الله عز وجل، والعمل على مرضاته أجل إنها البيئة الدينية والتى لعبت دورًا أساسيًا فى تكوين شخصية «عمرو بن عتبة» حيث إن البيئة تلعب دورًا مهمًا فى تكوين شخصية الطفل المسلم، وذلك من منظور إسلامى حيث يقول النبى ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه إما يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه» يعنى بفعل البيئة التى نشأ فيها الطفل فمن الممكن أن ينشأ نصرانيًا، أو يهوديًا أو مجوسيًا، قال تعالى ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (الروم: ٣٠).

كان عمرو بن عتبة - رحمه الله مظللاً محروسًا، وبالبلاء مكللا ممسوسًا، ويروى لنا «إبراهيم بن علقمة» فيقول خرجنا ومعنا مسروق وعمرو بن عتبة، ومعضد غازين فلما بلغنا «ماسبذان» بفتح السين والباء والذال، وهو اسم مكان كما ورد فى معجم «ياقوت الحموى» وقيل اسمها «ما سيدان» و «ماسهدان[1]»، وكان أمير هذا البلد الصحابى الجليل «عتبة بن فرقد» فقال لنا ابنه «عمرو بن عتبة» إنكم نزلتم عليه صنع لكم نزلا، ولعله أن تظلموا فيه أحدا، ولكن شئتم - «فَلْنَا» من القيلولة وهى اللجوء إلى الظل من حرّ الشمس - قلنا فى ظل هذه الشجرة وأكلنا من خبزنا الذى معنا، ثم رجعنا ففعلها، فلما قدمنا الأرض قطع «عمرو بن

(١) معجم البلدان / لياقوت الحموى.

عتبة» جبة بيضاء فلبسها ثم قال «والله إن تَحدُّرَ لى الدم» يعنى إن تلطخ هذا الثوب الأبيض بالدم فى سبيل الله لشىء حسن أسُر به، وأفرح، ثم رمى، فرأيت الدم يسيل على المكان الذى وضع يده عليه من جسمه فمات[1].

وفى رواية أخرى: «إنه لبس جبة بيضاء جديدة ثم قال: «ما أحسن الدم يتحدر على هذه، ثم أصابه حجر نشجّه فتحدَّر الدم وسال عليها فمات بسبب هذه الإصابة وقمنا بدفنه - رحمه الله - .

ومن حكمه السامية، وكلماته الغالية قوله: «سألت الله ثلاثًا فأعطانى اثنين، وأنا أنتظر الثالثة».

أولاً: سألته أن يزهدنى فى الدنيا، فما أبالى ما أقبل منها وما أدبر.

ثانيًا: سألته أن يقوينى على الصلاة فرزقنى منها.

ثالثًا: وسألته الشهادة فى سبيله فأنا أرجوها[2].

ويروى عنه - ابن عمه فيقول نزلنا فى مرج حسن والمرج «الأرض العشبة المخضرة» فقال « عمرو بن عتبة» ما أحسن هذا المرج؟». ما أحسن الآن أن مناديًا نادى: يا خيل الله اركبى، فخرج فنادى منادى الجهاد فخرج «عروة بن عتبة» لينال ما تمناه حيث أصيب، ثم جيىء به فدفن فى هذا المرج فما كان بأسرع من أن نادى منادٍ يا خيل الله اركبى، فخرج «عمرو بن عتبة» فى سرعان الناس فى أول من خرج، فأتى «عتبة» فأخبر بذلك فقال: «على عمرا، فأرسل فى طلبه فما أدرك حى

(١) الحلية / جـ ٤ ص ١٥٥ بتصرف.

(٢) ذاته ص ١٥٥ وما بعدها.

أصيب، قال فما رآه دفن إلا في مركز رمحه، و عتبة يومئذ أميرا على الناس.

ويروى أنه أصيب بجرح فنظر إليه فقال والله إنك لصغير وإن الله تعالى ليبارك في الصغير، دعوتي في مكاني هذا حتى أمسي فإن أنا عشت فارفعوني ثم مات في مكانه ذلك.

وعن عبد الله بن ربيعة قال: قال: «عتبة بن فرقد» لعبد الله يا «عبد الله» ألا تعينني على ابن أخيك، يعيبني على ما أنا فيه من عمل، فقال «عبد الله» يا عمر أطع أباك، قال فنظر إلى «معضد» وهو جالس ونظرته توحي بأنه يريد أن يقول «لمعضد» ما رأيك في هذا القول الذي سمعته؟ ولكن «معضدًا» أجابه بقوله: ﴿ لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ (العلق: ١٩) ثم قال «عمرو بن عتبة» لأبيه يا أبتي إنما أنا عبد أعمل في فكاك رقبتي فدعني أعمل في فكاك رقبتي، فبكى «عتبة بن فرقد» ثم قال لابنه «عمرو بن عتبة» يا بني إني أحبك حبّين، حبًا لله، وحب الوالد لولده، فقال له ابنه «عمرو» يا أبتي إنك قد كنت أتيتني بمال قد بلغ سبعين ألفًا، فإن كنت سائلي عنه فهو ذا فخذه، وإلا فدعني فأمضيه يعني أنفقه في سبيل الله فقال له «عتبة» يا بني فأمضه يعني أنفقه فأنفقها «عمرو بن عتبة» كلها ولم يبق منها درهمًا واحدًا، أرأيت كيف أعان الوالد ولده على الطاعة وعوده البذل، والسخاء، والجود والكرم أرأيت الديمقراطية الحقة والتربية الإسلامية السليمة، والوضوح في الكلام، وسلامة النية، وخلوّها من الغش والكدر، واللّف والدوران، والحذر حيث

قال: «عمرو» لأبيه هاهو ذا المال أمامك إن شئت أخذته، وإلا فدعنى أتصرف فيه وأنفقه فى وجوه الخير.

ولما أن كان الوالد «عتبة بن فرقد» واثقًا من التصرف السليم لابنه وأنه سيضع المال فى موضعه، والأمور فى نصابها، وأن تصرفه سيكون فى الله، ولله، وباسم الله.

وتحقق ظن الوالد فى ولده حيث أمضى المال جميعه وأنفقه فى سبيل الله هكذا تكون تربيتنا نحن المسلمين لأبنائنا تربية إسلامية مبنية على الخلق والدين، والحوار الهادف. ويروى أن «عمرو بن عتبة» اشترى فرسًا بأربعة آلاف درهم فعنفوه ولاموه، وعدوا ذلك ترفًا وبذخًا فقال لهم «عمرو بن عتبة» : « ما من خطوة يخطوها، يتقدمها إلى عدو إلا وهى أحب إلىّ من أربعة آلاف درهم»، فشراء الفرس بهذا الثمن الباهظ من وجهة نظر المعنفين له واللوّام ثمن زهيد ودراهم معدودة بالنسبة لما ينتظره من الفرس من كرّ وفرّ وإقبال وإدبار فى سبيل الله.

وبلغ من الزهد أنه كان له فى كل يوم رغيفان يتسحّر بأحدهما ويفطر بالآخر[1].

وكان من كراماته - رحمه الله - أن الغمام كان يظلله حيث كان يشترط على أصحابه أن يكون خادمهم، فخرج من الرعى فى يوم شديد الحرارة فأتى بعض أصحابه فإذا هو الغمامة تظله

(١) ذاته ص ١٥٧.

من الحر وهو قائم فقال أبشـر يا عمرو، فأخذ عليه «أى على صاحبه الذى رآه مظللاً بالغمامة أخذ عليه عهدًا ألا يخبر بذلك أحدًا».

ومـن كراماته - رحمه الله - أنه كان يصلى والسـبع حوله يضرب بذنبـه يحميه، أرأيت الرجال الذين خافـوا الله فأخاف الله منهم كل شىء.

يقـول رسـول الله ﷺ : « من خاف الله أخاف الله منه كل شـىء ومـن لم يخف الله أخافه الله» فهؤلاء النفر رحمهم الله جميعًا اتقوا الله وخافوه فأخاف الله منهم كل شىء ، وقذف الرعب فى قلوب أعدائهم، ولمـا أن خفنا الناس أخافنـا الله منهم، وقذف الرعـب فى قلوبنا بدلا منهم.

وعن الحسـن بن عمرو الفـزارى أنه قال: «حدثنـى مولى لعمرو بن عتبة» فقال: «اسـتيقظنا يومًا حارًا فى ساعة حارة، فطلبنا، «عمرو بن عتبة» يعنى بحثنا عنه فوجدناه فى جبل وهو ساجد وغمامة تظّله، وكنا نخـرج العدو فلا يحرس بعضنا بعضا لكثرة صلاته، وما دام يصلى فهو ساهر الليل فلا يحتاجون إلى حراسة لاعتمادهم عليه فى سهره مصليًا، راكعًا، سـاجدًا، ورأيته ليلة يصلى فسمعنا زئير مثل زئير الأسد فهربنا وهـو قائم يصلـى لم ينصرف قلنا له: «أما خفت من الأسـد؟»، فقال: «عمرو بن عتبة» لأصحابه الفارين خوفًا من الأسد إنى لأستحيى من الله أن أخاف شيئًا سواه[1]».

---

(١) ذاته ص ١٥٧.

فانظر إلى هذا الحياء، إنه حياء خاص بالخواص من أمثال التابعى الجليل، «عمرو بن عتبة بن فرقد» حيث إنه من الواجب على المسلم ألا يخشى أحدا إلا الله فهو حقيق بالخشية، وقمين بالمهابة، فهو الخلاق، الرزاق، القهار ذو القوة المتين، وبيده الحياة والنشور، وبمشيئته المحو والإثبات، والحياة والموت، والجنة والنار، فهو الله عز وجل -الأحق بالخشية والعبادة سبحانه وتعالى وكان «عمرو بن عتبة» يسوق ركاب أصحابه وغمامة تظلّه وتلك كرامة، وتكريم له من الله عز وجل.

ولما توفى «عمرو بن عتبة» دخل بعض أصحابه على أخته قال أخبرينا عنه فقالت: قام «عمرو بن عتبة» ذات ليلة فاستفتح وقرأ سورة «حٰمٓ» لما وصل إلى قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (غافر:١٨) فما جاوز ولا تخطى هذه الآية حتى أصبح، لماذا؟.. إنه الخوف الحقيقى من البعث والدار الآخرة، وملاقاة الله - عز وجل - وخاصة القبر، وهو أول منازل الآخرة.

يروى لنا «سرى السقطى» فيقول: اجتزت يومًا بالمقابر فإذا أنا ببهلول قد دلى رجليه فى قبر وهو يلعب بالتراب، فقلت أنت ها هنا؟.. قال: «نعم» أنا عند قومى لا يؤذوننى، وإن غبت عنهم لا يغتابوننى، فقلت يا بهلول الخبز قد غلا، فقال: والله ما أبالى ولو حبة بمثقال: إن علينا أن نعبده كما أمرنا، وأن يرزقنا، كما وعدنا، ثم ولى عنى وهو يقول:

يا من تمتع بالدنيا وزينتها ... ولا تنام عن اللذات عيناه
أفنيت عمرك فيما لست تدركه ... تقول لله ماذا حين تلقاه[1]

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى جـ ١ ص ٥٧٢.

وكان «عمـرو بن عتبة» – رحمه الله – على فرسـه ليلاً فوقف على القبـور فقال يا أهل القبور قد طويت الصحـف، وقد رفعت الأعمال ثم يبكى ويهتز جسمه، وتضطرب أعضاؤه حتى يطلع الصباح فيشهد صلاة الصبح[1].

ويقول الشـيخ – رحمه الله – «عمرو بن عتبة» من كبار تابعى أهل الكوفة، مشـهود بالتَّعبّد والزّهد، شغلته العبادة عن الرواية ولذلك نرى القاضـى «أحمد أبو العسّـال» فى تاريخه يذكره قائـلاً إنه لا يعرف له مسـنداً. وذلك دليل على أن التابعى الجليل «عمرو بن عتبة بن فرقد» – رحمـه الله – انصـرف إلى العبادة بكليته وتفرغ لها، وزهد فى الدنيا فشـغل بالعبادة، والزهد، والورع، والتقوى، عن الرواية والإسناد حتى لقى ربه – عز وجل– بعد حياة حافلة بالعبادة، وخشية الله.

وواجب على شبابنا المسلم التأسى، والاقتداء بهؤلاء الشباب المسلمين أيضًا من أمثال «عمرو بن عتبة» الذين قضوا حياتهم فى سبيل الله عبادة، وعملاً، وإخلاصًا، وطاعـة، وجهادًا لرفع رايات التوحيد عالية خفاقة حتى ظلت كثرة كاثرة من البلدان التى دخلها الإسلام تدين لفضل جهاد هـؤلاء الأبطال أليس والده هو الذى فتح الموصل، وأذربيجان، كيف؟.. لأنهم كانوا رهبانًا بالليل. فرسانًا بالنهار.

□□□

(١) الحلية جـ ٤ ص ١٥٨ بتصرف

العلاء بن زياد

من أجلة التابعين رحمهم الله، المبشر المحزون، الذى تشمّر للمهاد، وقدم عمـلا صالحا للمعاد، وعاش بمنأى عن العبـاد، التابعى الزاهد، «العلاء بن زياد بن مطر بن شـريح»، القدوة العابد، ويكنى «أبو النصر البصرى» وكان رحمه الله ربانيًا، تقيًا، قانتًا لله، بكاءً من خشـية الله حتى أنه بكى خوفًا من الله – عز وجل – حتى غشى بصره، وكان أبوه مـن قبله بكى حتى كفَّ بصـره، وكان إذا قرأ أو تكلم أجهش، وارتفع صوته بالبكاء، وكان قوت «العلاء بن زياد» رغيفًا كل يوم، ولم يكن هذا الزهـد من فقر، أو قلة مال إنما كان ورعًـا، وزهدًا فى الدنيا، ومتاعها القليل، والنظـر إلى الآخرة، ومتاعها الدائم المقيم حيث كان «للعلاء بن زياد» مال ورقيق فأعتق بعضهم، وباع بعضهم، وتعبّد وبالغ فى العبادة فكلمه الناس فى ذلك، فقال: «العلاء بن زياد» إنما أتذلل لعله يرحمنى.

ويـروى أن رجـلا جاء إلى «العـلاء بن زياد» وقال لـه: «أتانى آت فـى منامـى فقال لى: إئت العلاء بن زياد».. فقل له: «لم تبك، قد غفر لـك»، فقال: «العلاء بن زياد» «بعد أن اسـتمر فى البكاء» الآن لا أهدأ عن العبادة فلم يتكلم على هذه الرؤية التى أخبر بها وهذا دليل على أنه لم يغـتر لهـذه الرؤية المنامية التى رآها له غيره وأنبأه بها. حقًا إن هذا

هو الورع بعينه، وخشية الله - عز وجل - والعمل للدار الآخرة حيث النعيم المقيم.

يقول تعالى ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ (الرعد: ٣٥)، أى وظلها كذلك قال تعالى ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ (الإنسان: ١٣).

ويروى لنا «سلمة بن سعيد» فيقول: رأى «العلاء بن زياد» أنه من أهل الجنة، فمكث ثلاثًا لا ترقأ له دمعة، ولا يكتحل جفنه بنوم، ولا يذوق طعاما فأتاه الحسن فقال: أى أخى، أتقتل نفسك إن بشرت بالجنة؟.. فازداد بكاءً، فلم يفارق حتى أمسى، وكان صائمًا فطعم شيئًا[1].

ويروى لنا «جعفر بن سليمان»، فيقول: «سمعت مالك بن دينار» وسأل «هشام بن زياد العدوى» فقال: «تجهز رجل من أهل الشام بالحج، فأتاه آتٍ فى منامه وقال له: «اذهب إلى البصرة وآت».. «العلاء بن زياد» فإنه رجل «ربَعْةَ» لا هو بالطويل ولا بالقصير، أقصم الثنية بسام فبشره بالجنة، فقال رؤيا ليست بشيء - فأتاه فى الليلة الثانية، ثم فى الثالثة وجاءه بوعيد فأصبح وتجهز للسفر إلى العراق، فلما خرج من القرية التى يقيم فيها تاركًا بيوتها، ومنازلها إذا الذى أتاه فى منامه يسير بين يديه فإذا نزل فقده ولم يره قال فجاء فوقف على باب «العلاء بن زياد»، فخرجت إليه فقال: «أنت العلاء بن زياد»؟.. قلت: «لا» انزل رحمك الله، فضع رجلك قال: «لا» أين العلاء بن زياد؟..

(١) سير أعلام النبلاء / للذهبى جـ ٥ وما بعدها، وحلية الأولياء جـ٢ ص٢٤٣ بتصرف.

قلت له إن العلاء بن زياد فى المسجد فجاء العلاء فلما رأى الرجل تبسَّم حتى بدت ثنيته، وظهرت واضحة فقال هذا والله هو «العلاء بن زياد» هلاّ حططت رحل الرجل، ألا أنزلته!، أى أرحته في منزل من المنازل فقال له!، قلت فأبى أن ينزل أو يحط رحله أو يستريح فقال «العلاء بن زياد»: «انزل رحمك الله» قال: «أَخْلِنى» فدخل العلاء منزله وقال: «يا أسماء تحولى» طلب الرجل من العلاء إخلاء المكان ممن يوجد فيه حتى يستريح مطمئنا فأمر العلاء أسماء أن تنزل المكان وتتحول إلى غيره فدخل الرجل فبشره برؤياه، ثم خرج فركب مغادرًا المكان وأغلق «العلاء بن زياد» بابه، وبكى ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام ومكث لا يذوق فى هذه الأيام طعاما ولا شرابا وسمعته: يقول أنت وبكائه «أنا، أنا».. وهذا دليل على تواضعه، وخوفه من الله – عز وجل – وعدم اغتراره بعبادته وحسن صلته بخالقه وتلك شيمة العباد وسجية الزهاد، وطبيعة أهل الورع والتقوى.

كما أنه بعد عن الرياء حتى تكون العبادة خالصة لله –عز وجل– لا تخالطها ريبة، ولا يداخلها الشك. وكان الناس يهابون فتح بابه حتى خشى الناس أن يموت «العلاء» ولم يره أحد. وذكروا ذلك «للحسن» –رحمه الله – فجاء الحسن ودقَّ عليه بابه ففتح الباب وبه من الضر شيء الله به عليم ثم كلمه الحسن فقال: «ومن أهل الجنة إن شاء الله» أفقاتل نفسك أنت»؟.

وطلب «العلاء» من «الحسن» وغيره عدم ذكر الرؤيا لأحد وقال لهم: «لاتحدثوا بها ما كنت حيًا»[1].

---

(١) حلية الأولياء جـ ٢ ص ٢٤٥ وسير أعلام النبلاء / للذهبى جـ٥ ص ٢٠٥ وما بعدها.

وكان – رحمه الله – يصوم حتى يربدّ وجهه ويخضر ويتغير لونه، ويصلى حتى يسقط على الأرض من الإعياء والتعب، حتى دخل عليه، «أنس والحسن» فقالا له: «إن الله لم يأمرك بهذا كله»[1].

وعن «حميد بن هلال» : قال: «دخلت مع الحسن على «العلاء ابن زياد» وقد أسلّه وانحل جسمه وأضناه الحزن والخوف من الدار الآخرة،وكانت له أخت تندف عليه القطن غدوة وعشيا فقال أى الحسن كيف أنت يا علاء قال «العلاء بن زياد»: «واحزناه على الحزن»[2]،

يعنى يا حزناه ويا أسفاه، واحزناه على حزنى وخوفى من الدار الآخرة وهل أنا من الذين تجاوز الله عنهم، وغفر لهم أم لا تلك أمانيه وهى النجاة من عرصات القيامة، والفوز برضوان الله، وجنات فيها نعيم مقيم.

ويروى لنا «حميد بن هلال» عن «العلاء بن زياد» قال: «رأيت الناس فى النوم يتبعون شيئًا فتبعته، فإذا عجوز كبيرة هتماء يعنى تكسرت ثناياها من أصلها، عوراء، عليها من كل حلية وزينة فقلت من أنت؟.. قالت: «أنا الدنيا» قلت: «أسأل الله أن يبغضك إلىَّ يعنى يغرس فى قلبى كراهيتك وتعدم محبتك، والجرى وراء بهرجك الكاذب، وزخرفك الخداع) ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ (الضحى: ٤ – ٥) قالت: «نعم» إن أبغضت الدراهم[3].

(١) الحلية جـ ٢ ص ٢٤٣.

(٢) ذاته جـ ٢ ص ٢٤٦.

(٣) الحلية جـ٢ ص ٢٤٣ وما بعدها.

يعنـــى أرادت أن تقول «للعلاء بـــن زياد» إن كرهت الدراهم والجرى وراء المـــال، وتحقيق الغنى الفاحش، الثـــروات الطائلة، كرهت الدنيا، أما إذا أحببت المال، واســـتمكنت المادة من قلبك وملكت عليك أقطارك فإنـــك لا تكره الدنيا بل تحبها حبًا جمًا، وحتى لا يكون من الذين قال الله فيهـــم: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ (الفجر: ٢٠)، وكان - رحمه الله - يقـــوم الليل وكان يحيـــى ليلة الجمعة فنام ليلة جمعة لم يحيها بالعبـــادة فأتـــاه من أخذ بناصيتـــه وقال له: قم يا ابـــن زياد فاذكر الله يذكرك، فقام «العلاء بن زياد» فمازالت تلك الشـــعرات التى أخذها منه قائمة حتى مات[1].

وكان «العـــلاء بن زياد» - رحمـــه الله - لا يجالس أحدًا من الناس بغيـــة الانقطاع لعبـــادة الله، والبعد عن ضوضاء النـــاس، ولغو حديثهم وفضـــوا كلامهـــم، وكان يصلى فـــى الجماعة ثم يعود إلى أهلـــه، ويَعُوْدَ المريض، ثم يرجع إلى أهله، فهو يعتزل الناس حتى لا يتورط معهم فى الذلات والأخطاء، ولكنه لا ينسى العمل الصالح من حضور الجماعة فى الصلاة وعيادة المريض.

ومن حكمه العوالى، وكلماته الغوالى قوله: «لا تتبع بصرك رداء المرأة فإن النظر يجعل فى القلب شهوة»[2].

وكان يقول أيضًا: «لينزل أحدكم نفســـه أنه قد حضره الموت فاســـتقال ربَّه تعالى فأقاله، فليعمل بطاعة الله عز وجل». ويروى لنا هشام بن حسان

---

(١) ذاته ص ٢٤٤.

(٢) الحلية جـ ٢ ص ٢٤٤.

فيقول: «كنت أمشى خلف «العلاء بن زياد» العدوى فكنت أتوقى الطين فدفعه إنسان فوقعت رجله فى الطين فخاضه، فلما وصل إلى الباب وقف فقال: « يا هشام قلت نعم، قال العلاء: كذلك المرء المسلم يتوقى الذنوب فإذا وقع فيها خاضها»[1]. وقال له رجل : «رأيت كأنك فى الجنة فقال له العلاء ويحك أما وجد الشيطان أحدًا يسخر به غيرى وغيرك»[2].

وكان يقول – رحمه الله – إنما نحن قوم وضعنا أنفسنا فى النار إن شاء الله أن يخرجنا منها أخرجنا، وسأله رجل فقال له: إذا صليت وحدى لم أعقل صلاتى، فقال له العلاء «أبشر فإن هذا علم الخير أما رأيت اللصوص إذا مروا بالبيت الخرب لم يلووا عليه وإذا مروا بالبيت الذى رأوا فيه المتاع زاولوه حتى يصيبوا منها شيئًا»[3].

فقد ضرب له هذا المثال حيث إن إبليس يتابع ويوسوس للطائعين أما العصاة فإنه يتركهم لأنه استراح بهم واطمأن لعصيانهم، وقد شبه المصلى الذى يوسوس إليه الشيطان بالبيت العامر فإن اللصوص يرصدونه، ويترقبونه ويتابعونه ليناول منه شيئًا أما البيت الخرب الذى لا يحوى متاعًا، ولا يضم مالا فإن اللصوص لا ينظرون إليه، ولا يجعلونه نصب أعينهم لأنه لا فائدة من وراء دخوله، أو الهجوم عليه حيث لا فائدة مرجوة منه. وكان يقول – رحمه الله – : «إنكم فى زمان أقلكم الذى ذهب عشر دينه، وسيأتى عليكم زمان أقلكم الذى يبقى عليه عشر دينه».

---

(١) ذاته ص ٢٤٤ ، ٢٤٥.

(٢) ذاته.

(٣) الحلية جـ ٢ ص ٢٤٥.

وحـدَّث «العلاء بن زياد» عـن عمران بن حصين، وعياض بن حمار وأبـي هريرة، ومطرف بن الشـخير وغيرهم، كما روى عنه «الحسـن، والخثعمـي، وقتادة، وقطر الوراق، وأوفى بن دِلَهم وإسـحاق بن سـويد وآخرون».

ولحق بالرفيق الأعلى – رحمه الله – بعد حياة حافلة بالزهد والورع والتقوى في أخر ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي سنة أربع وتسعين.

ومن بين الأحاديث التي رواها أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان ذئب الإنسـان كذئب الغنم، يأخذ الشـاة الشـاذة والقاصية والناحية فإياكم والشِّعاب وعليكم بالجماعة والعامة».

وقول رسـول الله «الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة»، وقد رواه أيضًا أحمد في المسـند جـ ٣ حديث رقم ٥٥٥، ومن الأحاديث المروية قول رسـول الله عليه السـلام «ما من دعوة أحب إلى الله تعالى أن يدعو بها أحد بأن يقول «أسأل الله العفو والمعافاة والعاقية في الدنيا والآخرة».

❑❑❑

زين العابدين

هو التابعى الجليل، سليل بيت النبوة «على بن الحسين بن على ابن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف» «السيد الإمام» زين العابدين، الهاشمى، العلوى، المدنى يكنى «أبا الحسين» ويقول «أبو الحسن»، ويقال «أبو محمد»، ويقال «أبو عبد الله»، وأمه وأم ولد اسمها «سلافة» وهى سلافة بنت ملك الفرس «يزدجرد» وقيل «غزالة».

كان - رحمه الله - من القانتين لله عز وجل عابدا وفيا، جوادا، حفيا، وقيل: إن التصوف هو «حفظ الوفاء، وترك الجفاء، ويلقب بـ «زين العابدين»، وزين العباد، وذلك لكثرة عبادته، وزهده، وورعه، وتقواه، فكان - رحمه الله - إذا فرغ من وضوئه للصلاة وصار بين وضوئه وصلاته أخذته رعدة شديدة، ولما سئل عن ذلك قال: «ويحكم أتدرون إلى من أقوم»؟.. ومن أريد أن أناجى؟.. إنها وقفة بين يدى الله - عز وجل-.

وقال لابنه يوما : «يا بنى لو اتخذت لى ثوبا للغائط حيث إننى رأيت الذباب يقع على الشىء، ويريد أنه يقع على القاذورات ثم يقع على، ثم انتبه - رحمه الله - فقال: «فما كان لرسول الله ﷺ إلا ثوب واحد، فرفض اقتناء ثوبين تأسيا، واقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه ورعا وزهدا فى الدنيا، كما كانت الرأفة والرحمة تملأ قلبه فكان - رحمه الله- لا يضرب بعيره من المدينة إلى مكة تلك هى الرأفة بالحيوان.

ومن كلماته الغوالى، وحكمه العوالى قوله: «إن الجسد إذا لم يمرض أشر، ولا خير فى جسد يأشر»، «فقد الأحبة غربة»، وكان يقول: «إن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وقوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار».

ويروى لنا «أبوحمزة الثملى» فيقول أتيت باب على بن الحسين فكرهت أن أقرع الباب فقعدت أمام الباب حتى خرج «على بن الحسين» - رحمه الله - فسلمت عليه، ودعوت له، فرد على السلام، ودعا لى، ثم انتهى إلى حائط له «يعنى بستان» ثم قال لى: «يا أبا حمزة: ترى هذا البستان»؟ قلت: «بلى يا ابن رسول الله ﷺ».

قال زين العابدين: «فإنى اتكأت عليه يوما، وأنا حزين فإذا رجل حسن الوجه، حسن الثياب ينظر فى تجاه وجهى ثم قال لى: «يا على ابن الحسين مالى أراك كئيبا حزينا؟.. أعلى الدنيا، فهو رزق حاضر يأكل منه البر والفاجر فقلت: «ما عليها أحزن لأن الأمر كما تقول، فقال: «أعلى الآخرة؟».

فالآخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك قاهر، قلت: «ما على هذا لأن الأمر كما تقول، فقال إذا فما حزنك يا ابن الحسين؟».

قلت: ما أتخوف من فتنة «عبد الله بن الزبير» فقال لى: «يا على هل رأيت أحدا سأل الله فلم يعطه؟».. قلت: «لا»..

ثم قال: «فخاف الله» فلم يكفه، قلت: «لا».

ثـم غاب عنـى فقيل لى: «يا على هذا هو الخضر – عليه السـلام– ناجاك»[1].

وعن ابن شـهاب الزهرى، أنه قال: «شهدت على بن الحسين يوم حمله «عبد الملك بن مروان» من المدينة إلى الشـام، فأثقله حديدا، ووكل به حفاظا فى عدة وجمع، فأستأذنتهم فى التسليم عليه، والتوديع له، فأذنـوا لى، فدخلت عليه، وهو فى قبـة والقيود فى رجليه، والغل فى يديـه، فبكيت، وقلت: «وددت إنى مكانك وأنت سـالم معافى، فقال لى: يا زهرى أتظن أن هذا مما ترى على، وفى عنقى يزعجنى أو يجعلنى فى كربة وشـدة وضيق، أما لو شئت ما كان فذلك يذكرنى بعذاب الله، وهنا تظهر كرامة آل البيت – رضى الله عنهم أجمعين – حيث أخرج: «زين العابدين» «يديه ورجليه من القيود الحديدية»[2].

وكانت شـرطة «عبـد الملك بن مروان» تبحث عنـه فى المدينة كلها فلا تجـده، ولا تعثر عليه حيث كانوا يرصدونه، ولا ينامون ثم يذهبون إلى محملـه، ومكان نومـه فلا يجدون إلا القيـود الحديدية، ولا غرو، ولا عجب فهو سليل بيت النبوة، وزين العابدين، وجد خير العباد.

وكان «الزهرى» إذا ذكر «زين العابدين» بكى وقال: «هو زين العابدين لله» – عز وجل – ، ومن الحكم التى جرت على لسانه – رحمه الله– يرويها لنا: «أبو حمزة الثملى» فيقول: «سمعت على بن الحسين يقول: «من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس».

(١) ذاته ص ١٣٤.

(٢) ذاته ص ١٣٥ بتصرف.

وكان – رحمه الله – جوادا سخيا، متصدقا فقد كان – رحمه الله تعالى– يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به، ويقول: «إن صدقة السر تطفىء غضب الرب».

ولما مات – رحمه الله تعالى – وجدوه يقوت مائة أهل بيت من بالمدينة، ولما طرح على خشبة الغسل – رحمه الله تعالى – وجدوا فى ظهره آثار سوداء فقال مُغسلوه: ما هذا؟..

فقيل لهم: كان «زين العابدين – رحمه الله تعالى – يحمل جراب الدقيق ليلا على ظهره، يقولون: «ما فقدنا صدقة السر حتى مات» على ابن الحسين .

وقال «على بن الحسين» أتانى نفر من أهل العراق خاضوا فى أبى بكر وعمر ثم فى عثمان فلما فرغوا.

قال لهم: «ألا تخبرونى؟.. أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون»..

فقالوا: لا .

قال: «فأنتم ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحشر:٩).

قالوا: لا .

قال: أما أنتم فقد برئتم أن تكونوا فى أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ

رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ (الحشر: ١٠) ، اخرجوا فعل الله بكم!!..

وكان – رحمه الله تعالى – متواضعا، محبا للعلم، والعلماء فكان يقول: «يا معشر أهل العراق، يا معشر أهل الكوفة، أحبونا حب الإسلام، ولا ترفعونا فوق حقنا».

وكان من تواضعه – رحمه الله تعالى – أنه كان إذا ناول الصدقة للسائل قبله ثم أعطاه الصدقة وذلك عمل جليل، فهو يقبل السائل ليقربه إليه، وليشعره بالأخوة الإسلامية، وأن هذا حقه فى مال الله.

والدليل على تواضعه للعلماء أن «نافع بن جبير» قال «لزين العابدين» يوما: «غفر الله لك، أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه ويعنى «زيد بن أسلم».

فقال: «إنه ينبغى للعلم أن يتبع حيثما كان، وكان يتخطى رقاب القوم حتى يأتى.. «زيد بن أسلم» فيأتى عنده، ثم قال: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه فى دينه».

وقد سئل «زين العابدين» عن كثرة بكائه فقال: لا تلومونى فإن يعقوب – عليه السلام – فقد سبطا من ولده فبكى حتى ابيضت عيناه ولم يعلم أنه مات، وقد نظرت إلى أربعة عشر رجلا من أهل بيتى فى غزاة واحدة أفترون حزنهم يذهب من قلبى؟.. وهو يريد بذلك الذين قتلوا مع أبيه «الحسين» من ولده وأهل بيته – سلام عليهم أجمعين–.

وعن على بن الحسين، قال: «إذا كان يوم القيامة ينادى مناد أين أهل الصبر؟.. فيقوم ناس من الناس، فيقال: علام صبرتم؟.. قالوا صبرنا

علـى طاعة الله وصبرنا علـى معصية الله عز وجـل، فيقال: صدقتم ادخلوا الجنة».

وفى رواية أخرى عن ثابت بن أبى حمزة الثمالى، عن على بن الحسين، قـال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم أهل الفضل،فيقوم ناس من الناس: فيقال : انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة.

فيقولون: إلى أين؟.

قالوا: قبل الحساب.

قالوا: نعم.

قالوا: من أنتم.

قالوا: أهل الفضل.

قالوا: وما كان فضلكم.

قالوا: كنا إذا جهل علينا حلمنا وإذا ظلمنا صبرنا وإذا أسـىء علينا غفرنـا. قالوا: ادخلوا الجنـة فنعم أجر العاملين، ثم ينادى مناد: ليقم أهـل الصبر. فيقـوم ناس من النـاس، فيقال لهم: انطلقـوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة.

فيقـال لهم مثل ذلـك، فيقولون: نحن أهل الصـبر، قالوا: ما كان صبركم، قالوا: صبَّرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معصية الله عز وجـل، قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجـر العاملين، ثم ينادى مناد: ليقم جيران الله فى داره، فيقوم ناس من الناس وهم قليل، فيقال لهم: انطلقـوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة، فيقال لهم: مثل ذلك، قالوا: وبما

جـاورتم الله فى داره، قالوا: كنا نتزاور فى الله عز وجل ونتجالس فى الله ونتباذل فى الله، قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

ويروى عن أبى حمزة الثمالى، قال: كنت عند على بن الحسين فإذا عصافير يطرن حوله ويصرخن.

فقال: يا أبا حمزة هل تدرى ما يقول هؤلاء العصافير؟.

فقلت: لا.

قال: فإنها تقدس ربها عز وجل، وتسأله قوت يومها.

ويـروى لنا «زيـن العابدين» - رحمه الله تعـالى - فيقول: «التارك للأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر كنابـذ كتاب الله وراء ظهره، إلا أن يتقـى تقاة، قيل: وما تقاته، قال: يخـاف جبارا عنيدًا أن يفرط عليه أو أن يطغى».

وقـال على بن الحسـين : «من كتم علمًا أحـدًا، أو أخذ عليه أجرًا رفدًا، فلا ينفعه أبدًا».

ويروى لنا زين العابدين - رحمه الله تعالى - : قال: «كان فى نقش خاتم أبى، القوة لله جميعًا».

وكان يقول -رحمه الله تعالى - : لا يقولن أحدكم اللهم تصدق على بالجنـة، فإنما يتصـدق أصحاب الذنوب، ولكن ليقولـن اللهم أرزقنى الجنة، اللهم من على بالجنة.

وكان أبو حازم يقول: «ما رأيت هاشميًا أفضل من على بن الحسين».

ويروى لنا: حج «هشام بن عبد الملك» قبل أن يلى الخلافة، فاجتهد

أن يستلم الحجر فلم يمكنه، وجاء علي بن الحسين فوقف له الناس وتنحوا حتى استلمه، قال: ونصب لـ هشام منبر فقعد عليه فقال له أهل الشام: من هذا يا أمير المؤمنين، فقال: لا أعرفه، فقال الفرزدق: لكني أعرفه هذا علي بن الحسين - رضي الله تعالى عنهما -.

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... عند الحطيم إذا ما جاء يستلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا؟ بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم
يغضي حياء ويغضى من مهابته ... ولا يكلم إلا حين يبتسم

وكان مولده - رحمه الله - سنة ثمان وثلاثين، وحدث عن أبيه الحسين الشهيد، وكان معه في موقعة «كربلاء»، وله ثلاث وعشرون سنة، وكان يومئذ موعوكا فلم يقاتل، ولم يتعرضوا له، بل أحضروه مع آله إلى دمشق، فأكرمه «يزيد بن معاوية» ورده مع آله إلى المدينة.

كما روى عن حفصة أم المؤمنين، وعن أبي هريرة، وعائشة. وعمه الحسن، وعبد الله بن عباس، وآخرين، كما حدث عنه أولاده: «أبو جعفر، محمد، عمر، وزيد المقتول، وعبد الله، والزهري، وعمرو بن دينار، وزيد بن أسلم، وأبوحازم الأعرج، والمنهال، وابن عمرو وخلق سواهم»،

كما حدث عنه أبو سلمة وطاووس وهم من طبقته.

ومن أخلاقه - رضى الله تعالى عنه - أنه لم يستغل قرابته من رسول الله ﷺ فيقول: «جويرية بن أسماء»: «ما أكل» على بن الحسين بقرابته من رسول الله ﷺ درهما قط، ولأمانته قال: بعث المختار إلى على ابن حسين بمائة ألف فكره أن يقبلها وخاف أن يردها فأخذها فاحتبسها عنده، فلما قتل المختار كتب على ابن حسين إلى عبد الملك بن مروان: «إن المختار بعث إلى بمائة ألف درهم فكرهت أن أردها وكرهت أن آخذها فهى عندى فابعث من يقبضها، فكتب إليه عبد الملك: يا بن عم خذ فقد طيبتها لك، فقبلها[1]».

ومن شدة ورعه وزهده أنه وقع حريق فى بيت فيه «على بن الحسين» وهو ساجد، فجعلوا يقولون: «يا ابن رسول الله، النار، فما رفع رأسه حتى طفئت، فقيل له فى ذلك، فقال: «ألهتنى عنها النار الأخرى[2]».

وحج «على بن الحسين» فلما أحرم اصفر، وانتفض ولم يستطع أن يلبى، فقيل له: ألا تلبى؟.. فقال: أخشى أن أقول: لبيك، فيقول لى: «لا لبيك».. فلما لبى غشى عليه، وسقط من راحلته، فلم يزل بعض ذلك به حتى قضى حجه، وكان يصلى فى كل يوم وليلة ألف ركعة إلى أن مات.

وكان يسمى «زين العابدين» لعبادته، وسمعه «طاووس» وهو ساجد فى الحجر، يقول: عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك.

(١) طبقات ابن سعد جـ ٥، ص ١٦٤، وسير أعلام النبلاء / جـ٥ ص ٧٣٤، وتذكرة الحفاظ جـ ١، ص ١٣٥.
(٢) ذاته ص ٣٣٦.

قال: فوالله ما دعوت بها من كرب قط إلا كشف عنى.

وكان يقول - رحمه الله تعالى - إن الله تعالى يحب المذنب التواب، وكان يخضب بالحناء والكتم وكان له كساء أخضر يلبسه يوم الجمعة، وكان يلبس فى الصيف ثوبين ممشقين من ثياب مصر ويتلو: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

وقوله «ثوبين ممشقين»، يعنى ممزقين، وهو غاية الزهد، والورع، والتقوى، فالثوب ممزق، فأين الزينة؟.. وأين المتعة؟.. بالثياب ومباهج الحياة إنهم فتية أمنوا بربهم وزدناهم هدى، وطاعة، وزهدا فى الدنيا فباعوا دنياهم، واشتروا بها آخرتهم فنعم الربح، ونعم الزاد الذى أعدوه ليوم الميعاد.

وبلغ من تواضعه أنه كان إذا سار فى المدينة على بغلته لم يقل لأحد «الطريق» يعنى لم يطلب من أحد المارة أن يوسع له الطريق، وكان يقول فى ذلك هو أى الطريق مشترك بيننا ليس لى أن أنحى عنه أحدا، وكان له جلالة عجيبة وحق له ذلك، فقد كان - رحمه الله تعالى - أهلا للإمامة العظمى لشرفه، وسؤدده وعلمه، وكمال عقله[2].

وكانت أمه - رحمه الله تعالى - من بنات ملوك الأكاسرة، تزوج بها بعد «الحسين» رضى الله تعالى عنه مولاه «زبيد» بياعين فهو أخ لعلى

(١) سورة الأعراف، الآية رقم (٣١).

(٢) سير أعلام النبلاء جـ ٥ ، ص ٣٤٠ بتصرف.

ابن الحسين لأمه[1].

وكان: «زين العابدين» - رضى الله تعالى عنه - له مواقف تذكر فتشكر، وتدل دلالة واضحة حاسمة على طيب خلقه، وشرف نجاده، كما تدل أيضا على قوته وشجاعته، ومن هذه المواقف، لما كان على ابن الحسين مع أبيه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضا نائما على فراشه، فلما قتل الحسين، عليه السلام، قال شمر بن ذى الجوشن، اقتلوا هذا.

قال: قاله رجل من أصحابه: سبحان الله! ، أنقتل فتى حدثا مريضا لم يقاتل؟.. وجاء عمر بن سعد فقال: لا تعرضوا لهؤلاء النسوة ولا لهذا المريض.

قال على بن الحسين: فغيبنى رجل منهم وأكرم نزلى واختصنى وجعل يبكى كلما خرج ودخل حتى كنت أقول إن يكن عند أحد من الناس خير ووفاء فعند هذا، إلى أن نادى منادا بن زياد: ألا من وجد على بن حسين فليأت به فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم.

قال: فدخل والله على وهو يبكى وجعل يربط يدى إلى عنقى وهو يقول: أخاف، فأخرجنى والله إليهم مربوطا حتى دفعنى إليهم وأخذ ثلاثمائة درهم وأنا أنظر إليه، فأخذت وأدخلت على بن زياد، فقال: ما اسمك؟.

فقلت: على بن الحسين.

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ٥ ، ص ١٣٣.

قال: أو لم يقتل الله عليا؟.

قال قلت: كان لى أخ يقال له على أكبر منى قتله الناس.

قال: بل الله قتله.

قلت: الله يتوفى الأنفس حين موتها.

فأمر بقتله فصاحت زينب بنت على: يا ابن زياد حسبك من دمائنا أسألك بالله إن قتلته إلا قتلتنى معه، فتركه. فلما أتى يزيد بن معاوية بثقل الحسين ومن بقى من أهله فأدخلوه عليه قام رجل من أهل الشام.

فقال: إن سباءهم لنا حلال، فقال على بن حسين: كذبت ولؤمت ما ذاك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتأتى بغير ديننا، فأطرق يزيد مليا ثم قال للشامى: اجلس، وقال لـ على بن حسين: إن أحببت أن تقيم عندنا فنصل رحمك ونعرف لك حقك فعلت وإن أحببت أن أردك إلى بلادك وأصلك.

قال: بل تردنى إلى بلادى، فرده إلى بلاده ووصله[1].

ومن مواقفه الرائعة أيضا أنه كان ينهى عن القتال فلقيه قوم من أهل «خراسان» فشكوا إليه ما يلقونه من ظلم ولاته، فأمرهم بالصبر، والكف عن القتال حقنا لدماء المسلمين، ثم قال لهم: «إنى أقول كما قال عيسى - عليه السلام - ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾»[2] (المائدة: ١١٨).

وكان «زين العابدين» - رحمه الله تعالى - ثقة مأمونا كثير الحديث.

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ٥، ص ١٥٧ بتصرف.

(٢) ذاته ص ١٥٧.

عاليا رفيعا، ورعا، وتوفى - رحمه الله تعالى - بالمدينة، ودفن بالبقيع سنة أربعة وتسعين للهجرة، وكان يقال لهذه السنة، سنة العلماء الفقهاء لكثرة من مات فيها، وهو ابن ثمان وخمسين سنة[1].

ويقول «أبو نعيم» توفى سنة اثنين وتسعين، وقال: «معن» سنة ثلاث وتسعين، وقال «بحى بن بكير» سنة خمس وتسعين والأول هو الراجح والصحيح رضى الله عن آل البيت أجمعين.

❑❑❑

(١) طبقات ابن سعد جـ ٥ ، ص ١٦٤.

سعد بن إبراهيم الزهرى

هو التابعـى الجليل، والزاهد الورع الإمام الحجة الفقيه «سـعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف القرشى الزهرى» ويكنى «أبو إسحاق» ويقال هو: «أبو إبراهيم القرشى الزهرى المدنى»، قدم «واسط» فكتب عنه «الثورى» و «شعبة».

وأمه السيدة الفضلى «أم كلثوم بنت سعد بن أبى وقاص» -رضى الله عنـه - كان قاضى المدينة زمن «قاسـم بن محمـد بن أبى بكر الصديق» رضى الله تعالى عنه.

وقد ذكره «محمد بن سـعد» فى طبقاته، وعده فى الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وقال عنه: «كان ثقة، كثير الحديث، وولى قضاء «واسـط فى خلافة هارون ثم ولى قضاء عسـكر «المهدى» فى أول خلافة «المأمون» وهو «بخراسـان» وكان يروى كتب أبيه، وسمع من بعض البغداديين ثم عزل عن القضاء ببغداد فلحق بالحسـن بن سهل وهو «بفم الصلح» فولاه قضاء عسكره[1].

ويذكره «محمد بن أحمد بن حنبل» عن أبيه فيقول: «ثقة، ولى قضاء المدينة وكان فاضلا، وعن «يحيى بن معين» «كان ثقة لا يشـك»، ويكاد يكون هناك إجماع من العلماء على أنه ثقة[2].

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٧ ، ص٨٣.

(٢) سير أعلام النبلاء جـ ٦ ص ٢٠٦ ت/ ٧٩٩، وتهذيب الكمال فى أسماء الرجال للمزى جـ٧.

وروى أنه كان يقضى فى المسجد وقال عنه «أحمد بن حنبل» راويا عن سفيان بن عيينه لما عزل «سعد بن إبراهيم» عن القضاء كان يتقى كما يتقى وهو قاض، يعنى كان يحظى بنفس الإجلال والاحترام والخشية والتقدير بعد أن ترك القضاء كما كان قاضيا بالفعل، فتركه للقضاء لم يقلل من شأنه.

وكان له مواقف فى القضاء تشهد له بالنصفة والاعتدال وهو: ما يرويه لنا «ابن أبى ذئب»، فيقول: «قضى سعد بن إبراهيم على رجل برأى ربيعة، فأخبرته عن رسول الله ﷺ بخلاف ما قضى به، فقال سعد لربيعة، هذا ابن أبى ذئب - وهو عندى ثقة - يحدث عن النبى ﷺ بخلاف ما قضيت به؟.

فقال ربيعة: قد اجتهدت ومضى حكمك.

فقال سعد: واعجبا، أنفذ قضاء سعد ابن أم سعد وأرد قضاء رسول الله ﷺ ؟! بل أرد قضاء سعد ابن أم سعد وأنفذ قضاء رسول ﷺ.

فدعا سعد بكتاب القضية فشقه، وقضى للمقتضى عليه[1].

ويروى أنه دخل ناس من القراء، ويعنى هنا بالقراء «العلماء»، على سعد يعودونه، منهم ابن هرمز، وصالح مولى التوأمة.

قال: فاغرورقت عينا ابن هرمز، فقال له سعد: ما يبكيك؟..

قال: أما والله، لئن قلت ذاك ما أخذنى فى الله لومة لائم منذ أربعين سنة.

---

(١) تهذيب جـ ٧ ، ص ٧٣.

ثم قال: ألا تعلم إنكم أحب خلقه إلى - يعنى القراء - يعنى العلماء.

وكان «سعد بن إبراهيم» - رحمه الله تعالى - من أفقه أهل المدينة واتقاهم لربه، وكان يحتبى، أى يشد ركيتيه إلى صدره بحبل فما يحل حبوته حتى يقرأ القرآن، ويروى أنه إذا كانت ليلة: إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمسة وعشرين، وسبع وعشرين وتسع وعشرين لم يفطر حتى يختم القرآن، وكان إذا أفطر أرسل من يحضر له المساكين فيأكلون معه - رحمه الله تعالى -[1].

فقيه العصر وصائم الدهر المتعبد القارى الكاسى العارى سعد بن إبراهيم الزهرى، فعن عبد الله بن الفضل الهاشمى وكان من المعدودين ممن يؤخذ عنهم العلم قال يعقوب فأنشدنى أبى أبياتا لرجل امتدح بها سعد بن إبراهيم.

أقلى على اللوم يا أم حاجب ... فظنى بسعد خير ظن بغائب
فظنى به فى كل أمر حضرته ... إذا ما التقينا خير ظن بصاحب
أبوه حوارى النبى وجده ... أبو أمه سعد رئيس المناقب
رمى فى سبيل الله أول من رمى ... بسهم عظيم الأجر والذكر صائب

وكان يجعل لنفسه حصة من القرآن يقرؤها حتى يقع له ختم القرآن.

وكان حزب سعد من البقرة إلى الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾﴾[2] كان يفطر فيما بين المغرب والعشاء الآخرة.

(١) صفة الصفوة لابن الجوزى جـ ١، ص ٣٨١.

(٢) سورة الأحزاب الآية رقم (٢).

أسند سعد عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وأنس بن مالك ومحمد بن حاطب وأبى أمامة بن سهل بن حنيف وروى عن بن عمر وروى عن أبيه وعن أبى سلمة وعبيد بن عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله بن عتبه والقاسم بن محمد بن أبى بكر وحفص ابن عاصم ونافع فى آخرين، وروى عنه من التابعين يحيى بن سعيد وأيوب السختيانى ومن الأئمة والأعلام منصور بن المعتمر والثورى ومسعر وشعبة ومالك بن أنس.

ومن الأحاديث التى رواها - رحمه الله تعالى - عن عبد الله بن أحمد ابن حنبل حدثنى أبى قال سمعت إبراهيم بن سعد يقول حدثنى أبى سعد قال عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب يقول «رأيت رسول ﷺ يأكل القثاء بالرطب».

وعن سعد بن إبراهيم عن أبى سلمة عن أبى إبراهيم رضى الله عنه قال: قال: «رسول ﷺ لاتزال نفس ابن آدم معلقة بدينه حتى يقضى عنه دينه».

وعن سعد بن إبراهيم بن حميد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أن رسول ﷺ قال «من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه».

وعن سعد بن إبراهيم عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى ﷺ قال: «من فعل شيئا ليس من أمرنا فهو مردود».

وعن سعد بن إبراهيم عن عبد الله بن كعب بن مالك بن كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول ﷺ قال: «مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع تكفئها الريح مرة ههنا ومرة ههنا لا تصرعها ومثل الكافر مثل الأرزة المجدية بين الشجر لا يكفئها شيء حتى يكون انجعافها مرة واحدة».

وعن سعد بن إبراهيم عن نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال: قال: رسول ﷺ لو أن أحدا نجا من عذاب القبر لنجا منه سعد ابن معاذ وقال بأصابعه الثلاثة فجمعها كأنه يقللها ثم قال ضغط ثم عوفى[1].

وتوفى - رحمه الله تعالى - سنة خمسة وعشرين ومائة، وقيل سنة ست وعشرين ومائة، وقيل سنة سبع وعشرين ومائة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة[2].

وقيل فى موضع آخر مات سنة ثمان وعشرين ومائة، وفى الطبقات، توفى سنة إحدى وعشرين ومائتين وهو ابن ثلاث وستين سنة، بعد حياة حافلة بالزهد، منعمة بالورع والتقوى، فياليت شباب المسلمين يدرسون هذه النماذج التى تعد من طراز فريد فى الزهد والتقوى والورع، والخوف من الله تعالى، والمداومة على قراءة القرآن الكريم دستور هذه الأمة، والذى قال فيه رسول الله ﷺ لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وسنتى.

ولا غرو، ولا عجب فى أن يحيى «سعد بن إبراهيم الزهرى» فى هذا

(١) الحلية ص ١٧٣-١٧٤.

(٢) الثقات جـ ٦ ، ص ٣٧٥، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

الثوب من العبادة، والتقوى، وقراءة القرآن فهو سليل الأتقياء حيث إن جده لأبيه «عبد الرحمن بن عوف» وجده لأمه «سعد بن أبى وقاص» فلقد كان للبيئة الإسلامية التى انحدر منها هذا التابعى الجليل كبير الأثر فى زهادته وورعه وتقواه وعبادته وخوفه من الله رحم الله التابعى الجليل.

كهمس البصرى

هــو التابعى الجليل، والزاهد الورع، والمحــدث الفقيه «كهمس بن الحسن بن التميمى الحنفى القيسى البصرى» يكنى «أبو الحسن»، وفى صفــة الصفوة يكنى «أبا عبيد الله» وهو من كبار الثقات، ويذكر صاحب الحليــة فيقــول: «ومنهم الورع البكاء، كهمس بن الحســن أبو عبد الله الدعاء» وكان -رحمه الله تعالى- كثير البكاء سئل عن ذلك قال كهمس: يا أبا سلمة أذنبت ذنبًا فأنا أبكى عليه منذ أربعين سنة، قلت: وما هو يا أبا عبد الله، قال: زارنى أخ لى فاشــتريت له سمكا بدانق، فلما أكل قمت إلى حائط جار لى فأخذت منه قطعة طين فمسح بها يده، فأنا أبكى عليه منذ أربعين سنة.

وكان كهمس يصلى ألف ركعة فى اليوم والليلة، فإذا مل قال لنفســه: قومى يا مأوى كل ســوء، فوالله ما رضيتك لله ســاعة قط، ويروى أنه سقط من كهمس دينار فى الطريق؟.. فرجع فى طلبه، قال: فوجده فلما صار فى يده، قال: أحمد، ما أدرى أهو دينارى أو غيره، وهذا هو الورع والتقوى، والزهد فى الدنيا، والخوف من الله - عز وجل - وتحر الحلال.

وكان - رحمــه الله تعــالى - بــارا بأمه ويعمل فــى الجص كل يوم بدانقين فإذا أمسى اشترى به فاكهة فأتى بها إلى أمه.

وكان كهمــس رجلا صالحا من بنــى حنيفة وكان يؤذن، وكان يقوم علــى أمه حتــى ماتت، ثم خرج فأقام، بمكة حتى مات، أتى الســوق

ذات مرة فاشترى لأمه سكرًا بدانق، فوضع صاحب السكر وزن نصف درهم، فقال رجل من جيران صاحب السكر له: أما تتقى الله تضع وزن نصف درهم؟..

فقال كهمس: أحمد - يعنى ربه وكانت يمينه دينى أحمد الله- ما رأيت دانقًا أكبر منه.

ومن كراماته - رحمه الله تعالى - أنه اشترى دقيقًا بدرهم، فأكل منه، فلما طال عليه كاله فإذا هو كما وضعه فجعل بعد لا يأخذ منه شيئًا، إلا نقص حتى فنى، وقد نقص الدقيق بعد أن كاله «كهمس» وباح بسر كرامته هذه[1]، وصدق القائل:

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء العاشقين تباح

وفى هذه الرواية توجيه لنا، ونصح وإرشاد بأن يحافظ أولياء الله والصالحون على هذه الأسرار لأنها منح من الله - عز وجل - فعلى الممنوح أن يشكر المانح، والمعطى، والواهب وهو الله - عز وجل - حتى تستمر معه النعمة، ويكثر الكثير، وتعم البركة، وتقوى صلته بالله.

وبلغ به الورع أنه رأى عقربا فى البيت، فأراد أن يقتلها أو يأخذها فسبقته إلى جحرها، فأدخل يده فى الجحر يأخذها وجعلت تضربه، فقيل: ما أردت إلى هذا، لم أدخلت يدك فى جحرها تخرجها؟..قال: إنى أحمد أى أحمد الله، خفت أن تخرج من الجحر فتجىء إلى أمى فتلدغها، وكان يمينه الذى يحلف به إنى أحمد، وأحمد[2].

(١) سير أعلام النبلاء جـ ٦ ص ٤٨٦، وصفة الصفوة جـ ١ والثقات جـ ٩، ص ٣٦.

(٢) الحلية جـ ٦ ، ص ٢١١ بتصرف.

كان كهمس أبر شيء بأمه، قال فكان في جيرانهم عرس فيه مخنثون، قال فجعلوا يرفعون أصواتهم يغنون، فكان هكذا يتكلم، أحمد ما تحسنون، فأرسل إليه سليمان بن على الهامشي بصرة، وكان يكسح البيت ويخدم أمه، فأرسل بالصرة إليه أحسبه قال اشتر بها خادمًا لأمك لأنه كان مشغولا بخدماتها، فأراده على أن يأخذها فأبى، فألقاها في البيت فأخذها وخرج يتبعه حتى دفعها إليه.

وكان عمرو بن عبيد يأتي كهمسًا يسلم عليه ويجلس عنده هو وأصحابه، فقالت له أمه: إني أرى هذا وأصحابه وأكرههم وما يعجبوني فلا تجالسهم.

فقال: فجاء إليه عمرو وأصحابه فأشرف عليهم.

فقال: إن أمي قد كرهتك وأصحابك فلا تأتوني[1].

وبلغ من زهده، وورعه أن عبد الله بن المبارك يروى عنه: «كنا مع كهمس فدنا من الماء ليشرب، فذاقه فوجده باردا فأمسك قال: هاك أبا عبد الرحمن تحاسب بفضلها.

وكان كهمس يقول في جوف الليل مخاطبا ربه، أراك معذبي وأنت قرة عيني يا حبيب قلباه، ويروى أنه اجتمع مع بديلاً وشعيطًا في بيت بعضهم، فقالوا: تعالوا اليوم حتى نبكي على الماء البارد، وكأنهم أرادوا قول الحق سبحانه حين قال النبي ﷺ في وقت الحر مع بعض أصحابه في ظل شجرة، وأكلوا تمرا، وشربوا ماء باردا، فقال لهم النبي ﷺ «والله لتسألن يومئذ عن النعيم».

---

(١) ذاته ص ٢١٢ بتصرف.

وكان – رحمه الله تعالى – جوادا كريما. وقد حدث عن «أبى الطفيل، وعبد الله بن شقيق، وعبد الله بن بريده، والحسن البصرى.....» وغيرهم.

كما حدث «ابن المبارك ومعتمر، ووكيع، ومعاذ بن معاذ، وأبو عبد الرحمن المقرئى، ويحيى بن سعيد القطان، وغيرهم».

ومن إسناده – رحمه الله تعالى – ما يرويه عن «عبد الله بن شقيق العقيلى» قال: «قلت لعائشة: أكان النبى ﷺ يصلى الضحى؟، فقالت: لا، إلا أن يجىء من مغيبة.

قلت: أو كان يصلى جالسًا؟.

قالت: بعد ما حطمته السن.

قلت: أفكان يقرن السور؟.

قالت: المفصل.

قلت: أفكان يصوم شهر كله إلا رمضان؟.

قالت: لا أعلمه أفطر شهرًا كله حتى يصيب منه، حتى مضى لوجهه ﷺ.[1]

ويروى كهمس عن عبد الله بن شقيق، عن محجن بن الأذرع، قال: «بعثنى رسول ﷺ لحاجة، ثم عرض لى وأنا خارج من طريق المدينة.

قال فأخذ بيدى فانطلقنا حتى صعدنا على أحد، فأقبل على المدينة، فقال لها قولا، وكان فيما قال: «ويل إنها قرية يدعها أهل كأينع ما تكون»..

---

(١) الحلية جـ ٦، ص ٢١٤.

قال: قلت: يا رسول الله من يأكل ثمرها.

قال: عافية الطير والسباع، ولا يدخلها الدجال، كلما أراد أن يدخلها يلقاه بكل نقب ملك مسلط، ثم أقبل حتى إذا كان بباب المسجد إذا رجل يصلي.

قال تقوله صادقًا؟.

قلت: يا نبى الله هذا فلان، هذا أكثر أهل المدينة صلاة، أو من أكثر أهل المدينة صلاة.

فقال: لا تسمعه فيهلك، لا تسمعه فنهلكه[1].

وعن كهمس بن الحسن، عن عبد الله بن بريده، عن عائشة، قالت: «جاءت امرأة تريد رسول ﷺ فلم تلقه، فجلست تنتظره حتى جاء.

فقلت: يا رسول إن لهذه المرأة حاجة.

قال لها: «ما حاجتك؟..».

قالت: إن أبى زوجنى من ابن أخ له ليرفع خسيسته فىَّ ولم يستأمرنى، فهل لى فى نفسى أمر؟.

قال: نعم.

قالت: ما كنت لأرد على أبى شيئًا صنعه، ولكن أحببت أن تعلم النساء لهن فى أنفسهن مؤامرة أم لا[2].

وعن كهمس، عن مصعب بن ثابت، عن عبد الله بن الزبير، قال: قال عثمان وهو يخطب على منبره: «إنى محدثكم بحديث سمعته

(١) ذاته ص ٢١٤.

(٢) ذاته.

عن رسول الله ﷺ يقول»: ولم يكن يمنعنى أن أحدثكم إلا الظن بكم، سمعت رسول ﷺ يقول: «حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها، ويصام نهارها»[1].

وتوفى كهمس بن الحسن - رحمه الله تعالى - فى سنة «تسع وأربعين ومائة» وكان كهمس يقول فى جوف الليل مخاطبا ربه: أراك معذبى وأنت قرة عينى يا حبيب قلباه !!.[2]

□□□

(١) ذاته ص ٢١٥.

(٢) سير أعلام النبلاء جـ ٦ ، ص ٤٨١.

يزيد بن الأصم

مـن أجلة التابعين ،المنيب الأقوم «يزيد بن الأصم» وهو عمر، ويقال «عبـد عمرو» ويقال «عدس بن معاوية، الإمام الحافظ ويكنى «أبوعوف، العامرى، البكائى».

وأمـه «بـرزة بنت مسـعود عمرو بن عمـير الثقفى» وشـهرتها «برزة الهلاليـة» أخت أم المؤمنـين «ميمونة بنت الحـارث» وأم الفضل «لبابة الكـبرى» وعصمة والدة خالـد بن الوليد، وهى المسـماة «لبابة الصغرى» العصماء بنت الحارث، تزوجها الوليد بن المغيرة بمكة فولدت له خالد بن الوليد سيف الله المسلول ثم أسلمت بعد الهجرة، وبايعت رسول الله[1].

ويروى لنا يزيد بن الأصم، قال: لقيت عائشة رضى الله تعالى عنها وهى مقبلة من مكة وأنا وابن لطلحة بن عبيد الله وهو ابن أختها، وقد كنا وقعنا فـى حائط مـن حيطان المدينة فأصبنا منها فبلغهـا ذلك، فأقبلت على ابن أختهـا تلومه وتعذله، ثم أقبلت على فوعظتنى موعظة بليغة، ثم قلت: أما علمت أن الله تعالى ساقك حتى جعلك فى بيت نبيه، ذهبت والله ميمونة، ورمى رسنك على غاربك، أما إنها كانت من أتقانا لله وأوصلنا للرحم[2].

ويحدثنـى التابعى الجليل، والزاهد الورع يزيد بن الأصم: أن رجلا كان ذا بأس وكان يوفد على عمر ليأسـه وكان من أهل الشام، وأن عمر

---

(١) طبقات ابن سعد جـ ٧ ، ص٣١٣.

(٢) الحلية جـ٤ ، ص ٩٧ بتصرف، وسير أعلام النبلاء جـ٥، ص ٤٢٣.

فقده فسأل عنه فقيل له: تتابع فى هذا الشراب! فدعا كاتبه.

فقال اكتب: من عمر بن الخطاب إلى فلان، سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير، ثم دعا وأمن من عنده ودعوا له أن يقبل الله بقلبه وأن يتوب عليه، فلما أتت الصحيفة الرجل جعل يقرأ.

ويقول: غافر الذنب قد وعدنى الله أن يغفر لى، وقابل التوب شديد العقاب، قد حذرنى الله عقابه، ذى الطول والطول الخير الكثير، لا إله إلا هو إليه المصير، فلم يزل يرددها على نفسه ثم نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمر أمره.

قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخًا لكم زل فسددوه ووفقوه وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه.

يعنى أنه من واجب المسلم إذا رأى أخا له فى الإسلام زل زلة أى أخطأ خطأ، أو اقترف إثما، أو اجترح سيئة من الواجب عليه أن ينصحه، وأن يرشده، وأن يوجهه للخير، لعله يسترشد، أو يتوب، ولقد أرشدنا إلى ذلك رسول ﷺ حيث قال: «الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟.. قال: لله ولرسول ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم».

وحدثنا يزيد بن الأصم، قال: إن رجلاً فى الجاهلية شرب فسكر فجعل يتناول القمر، فحلف لا يدعوه حتى ينزله، فيثب الوثبة

ويخر ويكدح وجهه، فلم يزل يفعل ذلك حتى خر فنام، فلما أصبح قال لأهله، ويحكم ما شأني؟.. قالوا: كنت تحلف لتنزلن القمر فتثب فتخر فهذا الذى لقيت منه ما لقيت، قال: أرأيت شرابًا حملنى على أن أنزل القمر، لا والله لا أعود إليه أبدًا[1].

وكان للتابعى الجليل «يزيد بن الأصم» - رحمه الله تعالى - موقفا مع الحسين بن على ابن أبى طالب حيث كتب يزيد بن الأصم إلى الحسين بن على حين خرج: أما بعد فإن أهل الكوفة قد أبو إلا أن ينفضوك، وقل شىء نفض إلا قلق، وإنى أعيذك بالله أن تكون كالمعتز بالبرق أو كالمسبق للسراب، واصبر إن وعد الله حق، ولا يستخفنك الذين لا يوقنون[2].

وتلك النصائح، والوصايا والعظات من «يزيد بن الأصم» رحمه الله تعالى للحسين بن على لدلالة حاسمة على أنه صاحب بصر ثاقب، وبصيرة نافذة، ونظرة فاحصة تزن الأمور بميزان الإيمان، حيث لا ينصح المؤمن إلا مؤمن مثله يخشى الله ويراقبه، ولذلك نصح «الحسين بن على» -رضى الله على آل البيت أجمعين - نصيحة تعد من الكلم العوالى والحكم الغوالى حيث بصره بنفاق أهل الكوفة، وخداعهم له، وتغريرهم له.

وقد حدث «يزيد بن الأصم» عن خالته أم المؤمنين «ميمونة بنت الحارث» وابن خالته « عبد الله بن عباس» -رضى الله تعالى عنه- وعلى

---

(١) الحلية جـ ٤ ، ص٩٨.

(٢) ذاته.

ابن طالب، وسعد بن أبي وقاص، وأبي هريرة، وعائشة، ومعاوية، وعوف بن مالك، وغيرهم، ولكن روايته عن علي لا تصح وقد أدركه، وكان بالكوفة في خلافته، كما حدث عن ابن اخيه، «عبد الله بن عبد الله بن الأصم» وميمون بن مهران، وابن شهاب، وأجلح الكندي، وعلي بن نزيمة، ويزيد بن يزيد، وجعفر بن برقان وليث بن أبي سليم، وآخرون.

ومن الأحاديث التي رواها «يزيد بن الأصم» ما رواه عن أبي هريرة.. رفعه إلى النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: عبدي عند ظنه بي، وأنا معه إذا دعاني[1]».

وعن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

وعن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس، والله ما أخشى عليكم الخطأ، ولكن أخشى عليكم العمد، وما أخشى عليكم الفقر، ولكن أخشى عليكم الغنى والتكاثر[2]».

وأيضا عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تظهر الفتن ويكثر الهرج، قيل، وما الهرج يا رسول الله؟.. قال: القتل ويقبض العلم».. فسمعه عمر بن الخطاب يأثره عن رسول الله ﷺ فقال: أما إن قبض العلم ليس بشيء ينتزع عن صدور الرجال ولكنه فناء العلماء»[3].

---

(١) الحلية جـ ٤، ص ٩٨.

(٢) ذاته.

(٣) ذاته ص ٩٩.

يروى لنا يزيد بن الأصم، عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فإن الله تعالى يغفر له ما دون ذلك لمن يشاء، من مات لا يشرك بالله شيئًا، ولم يكن ساحرًا يتبع السحرة، ولم يحقد على أخيه»[1].

وعن يزيد بن الأصم، عن ابن عباس، قال: قال رجل للنبى ﷺ: «ما شاء الله وشئت، قال: جعلت الله ندًّا؟.. ما شاء الله وحده»..

وحدثنا يزيد بن الأصم، عن ابن عباس، عن النبى ﷺ قال: «ما فوق الإزار، وجلف الخبز، وظل الحائط، وجرة الماء فضل يحاسب به أو يسأل عنه يقوم القيامة».

يروى لنا أبو سليمان عبد الله بن الأصم، عن عمه يزيد بن الأصم، عن ميمونة رضى الله تعالى عنها، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا سجد لو أرادت بهيمة أن تمر تحته لمرت مما يجافى».

وعن يزيد بن الأصم، عن ميمونة رضى الله تعالى، عنها، قالت: «كان النبى ﷺ إذا سجد جافى حتى يرى من خلفه وضح إبطيه».

ويروى لنا ابن الكلبى فيقول: «سمى رسول الله ﷺ الأصم عبد الرحمن وكتب له بمائة الذى أسلم عليه «ذى القصة» بالفتح وتشديد الصاد وهو موضع يدخله ماء السماء عذبا زلالا، وذى القصة ماء لبنى طريف، وقيل «ذو القصة» جبل فى سلمى من جبل طيىء، عند سقف وغضور، وقيل إنه بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا، وهو طريق الربذة[2].

---

(١) ذاته ص ١٠٠.

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموى جـ ٤، ص ١٦٦.

وتوفى - رحمه الله تعالى - سنة إحدى ومائة للهجرة، وقيل مات سنة ثلاث ومائة، وفى رواية للواقدى أن يزيد بن الأصم مات سنة ثلاث ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة[1].

❑❑❑

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى جـ ٥، ص ٤٢٥، وطبقات ابن سعد جـ٧، ص٣١٣.

أبو عبد الرحمن السلمى

من أجلة التابعين، الصوام، القوام، ومقرئ الأئمة والأعلام، على مدى السنين والأعوام، فى التعبد لبيب، وفى التعليم أريب، أبو عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفى.

وفى تهذيب الكمال «عبد الله بن حبيب بن ربيعة بالتصغير، أبو عبد الرحمن السلمى الكوفى، القارئ ولأبيه صحبة، ويذكره صاحب صفة الصفوة فيقول: «هو عبد الله بن حبيب أبو إسحاق السبيعى وأنه أقرأ أبو عبد الرحمن السلمى القرآن فى المسجد أربعين سنة».

ويضيف قائلا هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة بفتح الموحدة وتشديد الياء «أبو عبد الرحمن السلمى الكوفى القارئ، مشهور بكنتيه، ولأبيه صحبة، ثقة ثبت، ويعد فى الطبقة الثانية للتابعين»[1].

وكان – رحمه الله تعالى – صواما قواما فيروى لنا عطاء بن السائب، قال: ذهبنا نرجى أبا عبد الرحمن السلمى عند موته، فقال: إنى لأرجو ربى وقد صمت له ثمانين رمضانًا.

ويحدثنا الأعمش، عن شمر، قال: أخذ بيدى أبو عبد الرحمن السلمى، فقال: كيف قوتك على الصلاة؟.. فذكرت ما شاء الله أن أذكره، قال أبو عبد الرحمن، كنت أنا مثلك أصلى العشاء ثم أقوم أصلى، فإذا أنا حين أصلى الفجر أنشط منى أول ما بدأت.

---

(١) الحلية جـ ٤، ص ١٩١ وما بعدها.

وإنه كان يؤتى بالطعام إلى المسجد فربما استقبلوه به فى الطريق فيطعمه المساكين فيقولون: بارك الله فيك، فيقول وبارك الله فيكم، ويقول: قالت السيدة الفضلى عائشة رضى الله تعالى عنها إذا تصدقتم «ودعى لكم فردوا حتى يبقى لكم أجر ما تصدقتم به[1]».

ومما يدل على ورعه أنه كان ينهى الشباب عن الجلوس، والسماع إلى القصاص الذين يتحدثون بأشياء لا تتفق مع القرآن والسنة، فذلك دليل على أنه كان ورعا يتحرى الصدق، ولا غرو فهو من القراء الثقات تعلم القرآن وعلمه.

كما كان -رحمه الله تعالى - يصوم النهار، ويقوم الليل لم تكتحل عينه بنعاس خوفا من عذاب الله، وطمعا فى رحمته فهو من العباد، الزهاد الذين تحقق فيهم قول المولى عز وجل ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[2].

ومن الذين أخذوا عنه القرآن الكريم «عاصم بن أبى النجور» ويحيى ابن وثاب، وعطاء بن أبى السائب، وعبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن ابن أبى ليلى، ومحمد بن أبى أيوب، والشعبى، وإسماعيل بن أبى خالد، وعرض عليه الحسن والحسين رضى الله عنهما.

وكان - رحمه الله تعالى - ثقة رفيع المحل، ويروى أنه تعلم القرآن من عثمان - رضى الله تعالى عنه - كما عرض القرآن على «على بن أبى طالب» رضى الله تعالى عنه.

---

(١) الحلية جـ ٤، ص ١٩٢ وما بعدها.

(٢) السجدة ١٦.

وكان يقرئ القرآن للناس في المسجد الأعظم أربعين سنة، كما كان أقرأ الناس في خلافة عثمان - رضي الله تعالى عنه - كما أنه كان إمام المسجد، وكان يحمل في اليوم المطير، وذلك دليل على حرصه على أداء الصلوات الخمس في المسجد، حتى إنه يحمل إلى المسجد إذا عجز عن المشي.

وكان يقول: أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخرى حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وسيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم.

وكان لا يأخذ على تعليم القرآن الكريم أجر فعن عبد الحميد بن أبي جعفر الفراء: عن أبيه، عن أبي عبد الرحمن السلمي، أنه جاء وفي الدار جلال وجزر، فقالوا: بعث بها عمرو بن حريث لأنك علمت ابنه القرآن: فقال: إنا لا نأخذ على كتاب الله أجرا[1].

وهو خيار من خيار المسلمين، وقد وعى قول رسول الله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» .. ولما سمع هذا الحديث يرويه «عثمان بن عفان» رضي الله تعالى عنه قال أبو عبد الرحمن: فذلك الذي أقعدني هذا المقعد.

وكان - رحمه الله تعالى - أعمى حيث قال أبو حصين عثمان بن عاصم: كنا نذهب بأبي عبد الرحمن من مجلسه، وكان أعمى، وقال إسماعيل بن أبي خالد: كان أبو عبد الرحمن السلمي يعلمنا القرآن، خمس آيات خمس آيات[2].

ويذكرون أن السلمي قرأ على عثمان عامة القرآن، وكان يسأله عن القرآن، فيقول: إنك تشغلني عن أمر الناس، فعليك بزيد بن ثابت،

(١) سير أعلام النبلاء جـ ٥، ص ٢٥٠.

(٢) ذاته ص ٢٥١.

فإنه يجلس للناس، ويتفرغ لهم، ولست أخالفه فى شىء من القرآن.

قال: وكنت ألقى عليا، فأسأله، فيخبرنى، ويقول: عليك بزيد، فأقبلت على زيد ، فقرآت عليه القرآن ثلاث عشرة مرة.

ويحدثنا عطاء بن السائب، قال: كان رجل يقرأ على أبى عبد الرحمن، فأهدى له قوسا فردها وقال: ألا كان هذا قبل القراءة، وقد كان ثبتا فى القراءة، وفى الحديث حديثه مخرج فى الكتب الستة.

ويذكر صاحب تهذيب الكمال فيقول: «قرأ أبو عبد الرحمن السلمى القرآن فى المسجد، أربعين سنة وهو كوفى، تابعى ثقة، كما ذكره ابن سعد فى الطبقات وقال: «كان ثقة كثير الحديث، وشهد مع على ابن أبى طالب معركة «صفين» وكان من أصحاب عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه[1]».

وحدث عنه : عاصم، وأبو إسحاق، وعلقمة بن مرثد، وعطاء ابن السائب وعدد كثير.

ومن روايته أنه قال: «دخلت المسجد وأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه على المنبر، وهو يقول: قال رسول ﷺ: «إن الله أوحى إلى نبى من أنبياء بنى إسرائيل: قل لأهل طاعتى من أمتك أن لا يتكلوا على أعمالهم، فإن لا أقاص عبدًا الحساب يوم القيامة أنساء أن أعذبه إلا عذبته وقل لأهل معصيتى من أمتك لا يلقوا بأيديهم فإنى أغفر الذنب العظيم ولا أبالى، وأنه ليس من أهل قرية أو مدينة، ولا أهل أرض ولا رجل بخاصة ولا امرأة يكون لى على ما أحب إلا كنت

(١) تهذيب الكمال فى أسماء الرجال للمزى جـ ١٠ ، ص ٨٠ - ٨١.

لـه على ما يحـب، وأنه ليس من أهل مدينـة ولا أهل أرض ولا رجل بخاصة ولا امرأة يكون على ما أحب إلا كنت له على ما يحب ثم يتحول عما أحـب إلى ما أكـره إلا تحولت له مما يحب إلى ما يكره، وأنه ليس من أهل قرية ولا أهل مدينة، ولا أهل أرض ولا رجل بخاصة ولا امرأة يكـون علـى ما أكره إلا كنت له على ما يكره ثم يتحول عما أكره إلى ما أحـب إلا تحولـت له على ما يكره إلا ما يحب، ليس منى من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له، إنما إنا وخلقى وكل خلقى لى»[1].

وعـن أبى عبد الرحمـن، قال: « إن الملك يجـىء إلى أحدكم غدوه بصحيفـة فليمل فيها خيرًا، فإنه إذا أملى فى أول الصحيفة خيرًا وفى أخرها خيرًا كان عسى أن يكفر ما بينهما».

وتوفـى - رحمه الله تعالى - بعد حياة حافلة بالورع والزهد، عامرة بالإيمان والتقوى وتلاوة القرآن الكريم، ، وتعليم الناشئة، لحق ربه - عز وجل - سنة أربع وسبعين للهجرة، وقيل: مات فى إمرة بشر بن مروان على العراق، وقيل: مات سـنة ثلاث وسبعين، وقيل : مات قبل سنة ثمانين، وقيل : مات فى أوائل ولاية الحجاج على العراق.

رحـم الله هذا التابعى الجليل وجعله نبراسًـا يضيـىء الطريق أمام شـبابنا الذى تهب عليه كل لحظة رياح الفتنة الهوجاء راجين المولى - عزل وجل -أن يعظنا من الفتن وأن يحفظنا من المعاصى، وأن يوفقنا إلى ما فيه رضاه وأن يغيثنا بفضله عمن سواه. آمين.

---

(١) الحلية جـ ٤ ص ١٨٥.

عـائـذ الله
«أبو إدريس الخولانى»

هو التابعى الجليل، والزاهد الورع، والعالم التقى، واعظ دمشق عائذ الله بـن عبد الله بن مسـعود بن عمرو، ويقال إنـه عبد الله بن أدريس بن عائـذ ابن عبـد الله بن عتبة بـن غيلان بن مكين العـوذى، ويقال «العيـذى» ويكنى أبو إدريـس الخولانى، كان من علماء أهل الشـام، وعبادهـم، وقرائهم، كما كان قاضيا لدمشـق وكانـت له هيبة عجيبة، سـئل دحيم عنه وعن جبير، أيهما أعلم؟.. قال أبو أدريس هو المقدم، ورفع أيضا من شأن جبير بن نفير لإسناده وأحاديثه[1].

وعاصر «أبو إدريس الخولانى» من علماء الشام كثير بن مرة، وقبيصة ابن ذؤيب، وعبـد الله بن محيريز الجمحى، وأم الدرداء وكانوا جميعا فـى دولة «عبد الملك بن مـروان» وحدث عن أبـى ذر، وأبى الدرداء، وحذيفة، وأبى موسـى، وشـداد بن أوس، وعبادة بن الصامت، وأبى هريـرة، وعوف بن مالك الأشـجعى، وعقبة بـن عامر الجهنى والمغيرة بن شـعبة، وابن عباس، ومعاوية بن أبى سفيان، وعبد الله بن حوالة، وأبى مسلم الخولانى.

كما حدث عنه أبو سـلام الأسـود، ومكحول، وابن شـهاب وعبد الله ابـن عامر اليحصبى، ويحيى بن يحيى الغسـانى، وعطاء بن أبى مسلم، وأبو قلابة الجرمى، ومحمد بن يزيد الرحبى، ويونس بن ميسرة بن حلبس، ويزيد بن أبى مريم وربيعة القصير وآخرون.

---

(١) سير أعلام النبلاء، جـ ٥ ، ص ٢٥٣.

وقال أحمد بن زهير، سمعت يحيى بن معين يقول: أبو إدريس قد سمع من أبي ذر، وكان من فقهاء أهل الشام، ومن مكحول أنه قال: «ما رأيت مثل أبي إدريس الخولاني، وكانوا يعدونه عالم أهل الشام بعد أبي الدرداء»[1].

ويروى لنا مكحول يقول: كانت حلقة من أصحاب النبي يدرسون جميعا، فإذا بلغوا سدة بعثوا إلى أبي إدريس الخولاني، فيقرؤها، ثم يسجد، فيسجد أهل المدارس».

ويروى محمد بن شعيب بن شابور: أخبرني يزيد بن عبيدة، أنه رأى أبا إدريس في زمن عبد الملك بن مروان، وأن حلق المسجد بدمشق يقرؤن القرآن، يدرسون جميعا، وأبو إدريس جالس إلى بعض العمد، فكلما مرت حلقة بآية سجدة بعثوا إليه يقرأ بها، وأنصتوا له وسجد بهم جميعا، وربما سجد بهم اثنتي عشرة سجدة حتى إذا فرغوا من قراءتهم قام أبو إدريس يقص.

ويروى أنه حدث يوما عن بعض مغازي رسول الله ﷺ حتى استوعب الغزاة، فقال له رجل من ناحية المجلس: أحضرت هذه الغزوة؟.

فقال: لا.

فقال الرجل: قد حضرتها مع رسول الله ﷺ، ولأنت احفظ لها مني[2].

وكان عبد الملك بن مروان يثق به، فعن ابن جابر، أن عبد الملك عزل أبا إدريس عن القصص، وأقره على القضاء، وعزل بلال بن أبي الدرداء، فقال أبو إدريس: عزلتموني عن رغبتي، وتركتموني في رهبتي.

---

(١) تذكرة الحفاظ جـ ١، ص ٥٧.

(٢) السيرة جـ ٥، ص ٢٥٣.

وعن ابن شـــهاب، قال: جلست إلى أبى إدريس الخولانى يوما وهو يقص، فقال: لا أخبركم بمن كان أطيب الناس طعامًا،؟ فلما رأى الناس قد نظروا إليه، قال: يحيى بن زكريا كان أطيب الناس طعاما إنما كان يأكل مع الوحش كراهة أن يخالط الناس فى معاشهم.

ويقول عنه الطبرانى فى طبقات الفقهاء حيث ذكره فى نفر من أهل الشـــام فقـــال عنه: «إنه أهل فقه فى الديـــن، وعلم بالأحكام، والحلال والحرام»[1].

ومـــا رواه: « عـــن أبى إدريس الخولانى، عن أبـــى ذر، قال: قال رســـول ﷺ: « قال الله تعالى : يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفســـى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنـــا أغفر الذنوب جميعًا ولا أبالى فاســـتغفرونى أغفـــر لكم، يا عبادى كلكـــم جائع إلا من أطعمته فاســـتطعمونى أطعمكم، يا عبادى كلكم عار فاستكســـونى أكســـكم، يا عبادى لم يبلغ ضركـــم أن تضرونى ولم يبلغ نفعكـــم أن تنفعونـــى، يا عبادى لـــو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنســـكم اجتمعـــوا وكانوا علـــى أفجر قلب رجل منكم لم ينقـــص ذلك من ملكى مثقال ذرة، ويا عبادى لو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم اجتمعوا فى صعيد واحد فسألونى جميعا فأعطيت كل إنسان منهم مسألته لم ينقص ذلـــك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا غمـــس فى البحر، يا عبادى إنما هى أعمالكم ترد إليكم فمن وجد خيرًا فليحمدنى ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

---

(١) تهذيب التهذيب جـ ٥، ص ٨٥.

ويروى الزهرى فيقول: أخبرنى أبو إدريس الخولانى إنه سمع عبادة بـن الصامت يقول: « كنا عند النبى ﷺ فـى مجلس فقال: «تبايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا، فمن وفى منكم فأجره علـى الله، ومن أصاب من ذلك شـيئًا فعوقب به فـى الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شـيئًا فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شـاء عذبه».. قال سـفيان : كان عند الزهرى فلما حدث بهذا الحديث أشـار إلى أبو بكر الهذلى أن احفظه، فكتبته، فلما قام الزهرى أخبرت به أبا بكر.

ولحق بالرفيق الأعلى – رحمه الله تعالى – سـنة ثمانين من الهجرة النبويـة الشـريفة ، كما ذكـر ذلك خليفة بن خياط فـى طبقاته، وابن معين، حيث قال أبو إدريس الخولانى سنة ثمانين[1].

❑❑❑

(١) طبقات خليفة بن خياط

عمران القصير

هو التابعى الجليل، والواعظ البصير، والمحث على المسير إلى المصير «أبو بكر عمران بن مسلم المنقرى البصرى القصير»، ويكنى «أبو بكر»، والصائب أنه «عمران بن مسلم المنقرى بكسر الميم وسكون النون أبو بكر القصير: «البصرى، وهو مكى من الطبقة السادسة، وكان -رحمه الله تعالى - صدوقا، ورعا، زاهدا، تقيا عاملا للدار الأخرة، فكان يقول - رحمه الله تعالى - لجلسائه: « ألا كريم يصبر أياما قلائلا».

وتروى لنا ابنته «أمينة بنت عمران القصير عن أبيها: «وكان قد عاهد الله أن لا ينام بليل أبدًا إلا متسغلبا».

قالت: قال أبى: «جئت إلى طاعة الله طول الحياة ولولا الركوع والسجود وقراءة القرآن ما باليت أن أعيش فى الدنيا فواقًا».

قال: فلم يزال مجهودا على ذلك حتى مات رحمه الله.

قالت: فرأيته من منامى.

فقلت: يا أبت إنه لا عهد بك مند فارقتنا.

قال: يا بنية فكيف تعهدين من فارق الحياة وصار إلى ضيق القبور وظلمتها؟.

قالت: فقلت: يا أبت كيف حالك منذ فارقتنا.

قال: خير حال يا بنية بوئنا المنازل، ومهدت لنا المضاجع،نحن ههنا نغدى ونراح برزقنا من الجنة.

قالت: فقلت: فما الذى بلّغكم هذا؟.. «يعنى تريد أن تعرف ما العمل الـذى عملته فى الدنيا حتى أنك بلغت هـذه المنزلة، وارتقيت إلى هذه الدرجة.

قال: الضمير الصالح وكثرة التلاوة لكتاب الله[1].

ومـن حكمه الغـوالى: قوله ألا صابر كريم لأيـام قلائل، حرام على قلوبكـم أن تجدوا طعم الإيمان حتى تزهدوا فـى الدنيا، ويحدثنا أيضا فيقول: « قال موسـى عليه السـلام: يا رب أين أبغيك؟.. ابغنى عند المنكسرة قلوبهم، فإنى أدنو منهم كل يوم باعًا لولا ذلك لتهدموا[2].

ومـن رواياته أيضـا أنه قال: «قـال: سمعت أبا رجـاء قال: قال أبوالدرداء: لأن أكبر مائة مرة، أحب إلى من أن أتصدق، بمائة دينار».

وسـأله رجل – فقال: إنى سـألت فقيهًا : وهل رأيت فقيهًا لا أبا لـك!.. إنما الفقيه الزاهد فـى الدنيا، البصير بذنبه، المداوم على عبادة ربه، وعن عمران، عن الحسن، قال: إذا رأيتم الرجل يقتر على عياله، فإن عمله بينه وبين الله تعالى أخبث وأخبث[3].

ويحدثنا محمد بن جرير، عن عمران، وهو القصير، قال: كان جعفر ابن زيد يقـول فى كلامه ، ما أحلى ذكرك فى أفواه الأبرار؟.. وأعظمك فى قلوب المؤمنين؟.

وروى عمران، عن أنس بن مالك، ورآه، وأسند عن عطاء بن رباح، وأبى رجاء العطاردى، والحسن، ومحمد بن سيرين وأخيه أنس، وقيس

(١) الحلية لأبى نعيم جـ ٦، ص ١٧٧. وصفة الصفوة لابن الجوزى ص ١٨٥.

(٢) الحلية جـ ٦، ص ١٧٧.

(٣) ذاته ص ١٧٨.

ابن سعد، وعبد الله بن دينار، ونافع، وأبى غالب، وعبد الله بن أبى القلوس، وابن أبى نجيح». وروى عنه الثورى وشعبة.

ومن بين الأحاديث التى رواها «عمران القصير» عن أشياخه، عن أنس، قال: قال: رسول ﷺ «إن أعمال أمتى تعرض على فى كل يوم جمعة، واشتد غضب الله على الزناة».

وعن أنس، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم إنى أسألك إيمانا دائما وهديا قيما، وعلما نافعا».

عن أنس بن سيرين، عن أنس بن مالك، قال: قال: «رأيت رسول الله ﷺ يصلى على بعيرة تطوع حيثما توجهت به».

ويحدثنا عمران أبو بكر القصير، عن عطاء بن أبى رباح.

قال: قال: لى ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة.

قال : قلت: بلى.

قال: هذه السوداء أتت النبى ﷺ.

فقالت: إنى أصرع واتكشف فادع الله لى.

فقال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك»، قالت: لا بل أصبر فادع الله أن لا يكشف أو لا ينكشف عنى.

قال : فدعا لها[1].

وعن عمران بن حصين، قال: «نزلت آية المتعة فى كتابه الله وعملنا بها مع رسول الله وسلم فلم تنزل آية تنسخ آية المتعة، ولم ينه عنها النبى ﷺ حتى مات».

---

(١) الحلية ص ١٧٩.

ويـروى لنا عمران القصير، قال: سمعت أبا رجاء يحدث، عن أبى الدرداء، قال: «لئن أقول الله أكبر مائة، أحب إلى من أن اتصدق، بمائة دينار».

وأيضـا عن أبى هريرة، أن رسـول الله ﷺ قال: «إن الملائكة تصلى على العبد ما دام فى مصلاه ما لم يحدث، تقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه».

وعن عمران بن مسـلم القصير، حدثنى سـعيد بن سلمان، عن يزيد ابـن نعامة الضبى، قال: قال رسـول الله ﷺ «إذا أخى الرجل الرجل فليسأل، عن اسمه واسم أبيه وممن هو؟.. فإنه أوصل للمودة»[1].

ويحدثنـا عمران، عن ابن عباس، عن النبى ﷺ: «أنه كان إذا قام من الليل كبر»، ثم قال: «اللهم لك الحمد أنت قيوم السموات والأرض، ولك الحمد أنت نور السـموات والأرض ولك الحمد أنت رب السـموات والأرض ومـن فيهن، أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والشفاعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنـت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، أنت ربنا، وإليك المصير، رب اغفر لى ما أسررت وما أعلنت وما قدمت وما أخرت، أنت إلهى لا إله إلا أنت»[2].

وعن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، أن رسـول ﷺ، قال: «ذاكر الله فـى الغافلين كالذى يقاتل عـن الفارين، ذاكر الله فى الغافلين مثل المصباح فى البيت المظلم، وذاكر الله فى الغافلين مثل الشـجرة الخضراء

(١) الحلية ص ١٨١.

(٢) ذاته ص ١٨١.

فى وسط الشجر، وذاكر الله فى الغافلين يعرفه الله مقعده من الجنة، وذاكر الله فى الغافلين يغفر الله له بعدد كل فصيح وأعجمى، فالفصيح بنو آدم والأعجمى البهائم».

وعن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول ﷺ: «لا تتكلموا فى القدر فإنه سر الله، فلا تفشوا لله سره»[1].

ويحدثنا عمران القصير، عن عمران بن حصين، قال: ألا أحدثكم بحديث ما حدثت به أحدًا منذ سمعته من رسول الله ﷺ مخافة أن يتكلموا عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من علم أن الله عز وجل ربه وأنى نبيه، من صدق قلبه - وأومى بيده إلى جلده وصدره - حرم الله لحمه على النار».

وعن عمران القصير، عن عاصم، عن زر، عن صفوان بن عسال، أنه قال: «إن عرض باب التوبة سبعون عامًا - أو قال أربعون عامًا - لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها»[2].

وهذه بشارة للمؤمنين الذين رضوا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، واقترفوا السيئات وارتكبوا المناكر فلا بأس، ولا قنوط حيث إن الله - عز وجل - فتح أمامهم باب التوبة والإنابة، والتوبة وهى الرجوع إلى الله - عز وجل - وتلك رحمة من الله -عز وجل- بعباده، ندعو الله أن يجعلنا من الصادقين التائبين، وعامة المسلمين... آمين.

---

(١) الحلية ص ١٨٢.

(٢) ذاته ص ١٨٢.

ربعى بن حراش

من التابعين الأجلاء، العابد، الزاهد، المهاجر للفراش «ربعى بن حراش» وهو كما ذكره صاحب الطبقات «ربعى بن حرش بن جحش بن عمرو بن عبد الله بن بجاد بن عبد بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس ابن يغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مصر»[1].

ويذكر لنا صاحب «سير أعلام النبلاء» فيوافق الطبقات فى «حراش «بالحاء المهملة فيقول: «هو الإمام القدوة، الولى الحافظ الحجة» أبو مريم العطفانى، ثم العبسى الكوفى، المعمر، وهو أخ العبد الصالح «مسعود» الذى تكلم بعد الموت، وفى الطبقات أن الذى تكلم بعد الموت أخوهما «ربيع بن حراش»[2].

ويروى لنا «هشام بن محمد بن المسيب» فيقول: «إن النبى ﷺ كتب إلى حراش بن جحش، فحرق حراش كتاب النبى ﷺ.

وعن عبد الملك بن عمير، عن ربعى بن حراش.

قال: كنا أربع إخوة، وكان الربيع أخونا أكثرنا صلاة وأكثرنا صياما فى الهواجر، وأنه توفى، فبينما نحن حوله وقد بعثنا من يبتاع لنا كفنا، إذا كشف الثوب، عن وجهه.

فقال: السلام عليكم.

فقال القوم: وعليكم السلام يا أخى بن عبس، أبعد الموت؟.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٦، ص ٨٧، تذكرة الحفاظ جـ١، ص ٦٩.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبى جـ ٥، ص ٣١٤ ت/ ٥٠٦ والحلية جـ٤ ص، ٢٦٣.

قال: نعم، إنى لقيت ربى عز وجل بعدكم فلقيت ربًا غير غضبان، واستقبلنى بروح وريحان وإستبرق، ألا وإن أبا القاسم ﷺ ينتظر الصلاة على فعجلونى ولا تؤخرونى، ثم كان بمنزلة حصاة رمى بها فى طست، فنمى الحديث إلى عائشة رضى الله تعالى عنها.

فقالت: أما إنى سمعت رسول ﷺ يقول: «يتكلم رجل من أمتى بعد الموت»[1].

وأيضا عن عبد الملك بن عمير، عن «ربعى بن حراش»، قال: مات أخ لى فسجيناه، فذهبت فى التماس كفنه، فرجعت وقد كشف الثوب عن وجهه وهو يقول: ألا إنى لقيت ربى بعدكم فتلقانى بروح وريحان، ورب غير غضبان، وإنه كسانى ثيابا خضرا من سندس وإستبرق، وإن الأمر أيسر مما فى أنفسكم فلا تغتروا، ووعدنى رسول ﷺ أن لا يذهب حتى أدركه، قال: فما شبهت خروج نفسه إلا كحصاة ألقيت فى ماء فرسبت، فذكر ذلك لعائشة فصدقت بذلك، وقالت: قد كنا نتحدث أن رجلا من هذه الأمة يتكلم بعد موته، قال: وكان أقومنا فى الليلة الباردة، وأصومنا فى اليوم الحار[2].

وقد شهد له قومه بأنه لم يكذب قط، وكان له موقف مع الطاغية «الحجاج بن يوسف الثقفى» ويحدث وكيع بن الجراح، حدثنا سفيان، قال: ذكرت ربعيًا، وتدرون من ربعى؟.. وكان ربعى من قبيلة «أشجع» زعم قومه أنه لم يكذب قط».. فسعى إلى الحجاج بن يوسف، فقالوا:

---

(١) الحلية جـ ٤ ص ٣٦٧.

(٢) ذاته ص ٣٦٨. والكاشف جـ ١، ص ٢٣٤.

ههنا رجل من أشجع زعم قومه أنه لم يكذب قط».. وأنه سيكذب لك اليوم فإنك ضربت على ابنه البعث فعصيا وهما في البيت، فبعث إليه فإذا شيخ منحن، فقال له: ما فعل ابناك؟.. قال هما هذان في البيت، قال: فحمله وكساه وأوصى به خيرًا[1].

ويقول: ربعي بن حراش سمعت عليًا يخطب وهو يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا تكذبوا على فإنه من يكذب على يلج النار».

وعن الحارث الغنوى، قال: آلى ربعي بن حراش أن لا تفتر أسنانه ضاحكا حتى يعلم أين مصيره.

قال الحارث: فأخبر الذى غسله إنه لم يزل مبتسما على سريره ونحن نغسله، حتى فرغنا منه رحمة الله عليه.

وقد سمع ربعي بن حراش - رحمه الله تعالى - من عمر بن الخطاب يوم الجابية، وعلى بن أبى طالب، وأبى موسى الأشعرى، وأبى مسعود البدرى، وحذيفة بن اليمان، وأبى بكر الثقفى، وعدة.

حدث عنه أبو مالك الأشجعى، ومنصور بن المعتمر، وعبد الملك بن عمير، وحصين بن عبد الرحمن، وآخرون.

ومن رواياته أنه قال: «سمعت عليًا يخطب وهو يقول: قال رسول ﷺ «لا تكذبوا على فإنه من يكذب على يلج النار».

وعن ربعي بن حراش عن حذيفة، قال: قال ﷺ: «المعروف كله صدقة».

وعن ربعي بن حراش عن حذيفة، أنه قدم من عند عمر، فقال:

---

(١) الحلية جـ ٤، ص ٣٦٩ وتهذيب الكمال جـ ٦، ص ١٢١.

لما جلسنا إليه أمس سأل أصحاب محمد ﷺ أيكم سمع قول رسول ﷺ في الفتن؟.

فقالوا: نحن.

فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وماله؟.

قالوا: أجل.

قال: لست عن ذلك أسأل تلك يكفرها الصوم والصلاة والصدقة، ولكن أيكم سمع قول رسول الله ﷺ في الفتن التي تموج موج البحر؟.. فأسكت القوم فظننت أنه إياي يريد.

قال: فقلت: أنا.

قال: أنت لله أبوك.

قلت: تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير، فأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، وأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، حتى تصير القلوب على قلبين، قلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة مادامت السموات والأرض، والآخر أسود مربدا كالكوز مجخيا - وأمال كفه وأرانا يريد قال هكذا وأمال كفه - لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه، وحدثته أن بينك وبينها بابا مغلقا يوشك أن يكسر كسرًا.

قال عمر: كسر لا أبالك.

قلت: نعم.

قال: فلو إنه فتح لكان لعله أن يعاد فيغلق.

قلت: بل كسرًا. قال: وحدثته إن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت. حديثًا ليس بالأغاليط[1].

وعن ربعى، عن حذيفة، قال رسول ﷺ «سيأتى عليكم زمان لا يكون فيه شىء أعز من ثلاثة، من أخ يستأنس به، أو درهم الحلال أو سنة يعمل بها».

ومما رواه أيضًا عن ربعى قال سمعت أبا مسعود عقبة بن عمرو قال: قال رسول ﷺ «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

وبعد حياة حافلة بالعبادة، عامرة بالإيمان يكتنفها، ويحيط بها الصدق، والإيمان الثابت، ثبوت الطود الشامخ، والجبال الراسيات يختاره الله - سبحانه وتعالى - إلى جواره فقد لحق بربه فى ولاية الحجاج بن يوسف الثقفى بعد معركة الجماجمه ، وليس له عقب. إنما العقب «الأولاد» لأخيه مسعود بن حراش أما أبو نعيم، فيقول: «توفى ربعى فى خلافة عمر بن عبد العزيز وكان ثقة له أحاديث صالحة.

ونذكر رواية أخرى أنه توفى سنة إحدى ومائة من الهجرة، وقيل إنه توفى سنة إحدى وثمانين، أو سنة أربعة مائة وعلى أية حال خلافات كثيرة فى زمن وفاته، ولكن الذى يهمنا سيرته العطرة، وحياته التى قضاها فى العبادة والزهد، ومراقبته الله - عز وجل - رحمه الله تعالى.

---

(١) الحلية جـ ٤، ص ٣٦٩.

عكرمة مولى ابن عباس

من التابعين الأجلاء، مفسر الآيات المحكمة، مضيء الروايات المبهمة العلامة، الحافظ المفسر «عكرمة» «مولى» «عبد الله بن عباس» حبر الأمة، وترجمان القرآن الكريم – رضى الله تعالى عنه – المدنى، البربرى الأصل ويكنى «أبو عبد الله» قيل إنه كان مولى «لحصين ابن أبى الحر العنبرى» فوهبه لابن عباس، كان عكرمة – رحمه الله تعالى– فى البلاد جوالا، ومن علمه للعباد أظن بذالا.

وقيل إن التصوف: «هو التحصيل للأصول، ثم التنبيه للعقول، وفى رواية أخرى: «للغفول» يعنى الغافلين عن ذكر الله وعبادته ثم التعليم للجهول»[1].

وكان «عكرمة» – رحمه الله تعالى – تلميذا لابن عباس – رضى الله تعالى عنه – فعن عكرمة قال كان ابن عباس يجعل فى رجلى الكبل ويعلمنى القرآن والسنن. وعن حبيب بن أبى ثابت قال اجتمع عندى خمسة لا يجتمع عندى مثلهم أبدا عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة فأقبل مجاهد وسعيد بن جبير يلقيان على عكرمة التفسير فلم يسألاه عن آية إلا فسرها لهما فلما نفد ما عندهما جعل يقول أنزلت آية كذا فى كذا وأنزلت آية فى كذا قال ثم دخلوا الحمام ليلا.

---

(١) الحلية جـ ٣، ص ٣٢٦. سير أعلام النبلاء للذهبى جـ ٥. ص ٥٠٤.

يـروى لنا جابر بن زيد يقول هذا عكرمة مولى ابن عباس هذا أعلم الناس. قال الشعبى. ما بقى أحد أعلم بكتاب الله تعالى من عكرمة، قال قتادة: أعلمهم بالتفسـير عكرمة، وعن جرير عن مغيرة قال قيل لسـعيد بن جبير تعلم أحدا أعلم منك قال نعم عكرمة، قال فلما قتل سـعيد قال إبراهيـم ما خلف بعده مثله، وعن سمـاك بن حرب قال سمعت عكرمة يقول لقد فسرت ما بين اللوحين.

ولا غرو، ولا عجب فى أن يكون التابعى الجليل «عكرمة» أعلمهم بالتفسـير وأهدافه ومراجعه، حيث إنه كان مـولى للصحابى الجليل «عبد الله بن عباس» رضى الله تعالى عنهما – وهو حبر الأمة وترجمان القـرآن الكريم، ومما لا ريب فيه أن عكرمة أفاد من ابن عباس فقها. كافية وعلما، وتفسـير لآيات الله، وشـهادة معاصريه من أمثال قتادة وسعيد بن جبير لسعة علمه.

وكان ضالعا فى التفسـير، عاملا بالتأويل والأماكن التى نزل فيها القرآن الكريم، فمما يرويه لنا أيوب قال سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال نزلت فى سفح ذلك الجبل وأشار إلى سلع[1].

وكان الناس يعرفون قدرة، كما أنهم كانوا يعرفون ويقدرون مكانته العلميـة فعن أيوب قال قدم علينا عكرمـة فاجتمع الناس عليه حتى أصعـد فوق ظهر بيت، مشـهورا بين الناس بعلمـه وخلقه، وزهده، وورعـه. وخوفه مـن الله وتقـواه، وكان كثير التجـوال فى البلاد، معلما للناس.

---

(١) الحلية جـ ٣، ص ٣٢٧.

وحين توفى «عكرمة» -رحمه الله تعالى - خرجت جنازته، وجنازة كثير عزة الشاعر المعروف فى وقت واحد فأخرجت جنازتهما فقال الناس مات أفقه الناس وأشعر الناس.

ويروى لنا عكرمة عن نفسه، عن أبى حمزة عن يزيد النحوى عن عكرمة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه لى انطلق فافت الناس فمن سألك عما يعنيه فافته ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته فإنك تطرح عنى ثلثى مؤونة الناس[1].

وهذا دليل على ثقة ابن عباس فى علم عكرمة ومن قدرته على الفتوى ولمعرفة ابن عباس بمكانة عكرمة العلمية صرح له بالفتوى حيث إنه سيريحه من كثرة كاثرة من الناس الذين يريدون الفقه، ويعشقون العلم والتعلم.

ويروى لنا سفيان عن عمرو قال كنت إذا سمعت عكرمة يحدث عن المغازى فكأنه مشرف عليهم ينظر كيف كانوا يصنعون ويقتتلون، وعن أيوب يقول كنت أريد أن أرحل إلى عكرمة إلى أفق من الآفاق قال فأتى يعنى سوق البصرة فإذا رجل على حمار فقيل لى هذا عكرمة قال واجتمع الناس إليه فقمت إليه فما قدرت على شىء أسأله عنه ذهبت المسائل عنه فقمت إلى جنب حماره قال فجعل الناس يسألونه وأنا أحفظ.

ويقول الفرزدق بن جواس قال قدم علنيا عكرمة ونحن مع «شهر بن حوشب» بجرجان، فقلنا لشهر ألا نأتيه.

فقال: آتوه فإنه لم تكن أمة إلا وقد كان لها حبر وإن هذا كان مولى حبر هذه الأمة[2].

---

(١) ذاته.

(٢) ذاته ص ٣٢٨.

وعن عبد العزيز ابن أبى داود قال قلت لعكرمة بينسايور الرجل يدخل الخلاء وفى أصبعه خاتم فيه اسم الله قال يجعل فصه فى باطن كفه ثم يقبض عليه[1].

وكان سفيان الثورى يقول بالكوفة خذوا التفسير عن أربعة عن سعيد ابن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة.

وفى رواية أخرى قال سفيان الثورى بالكوفة خذوا التفسير عن أربع عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك[2].

والشعبى يقول: ما بقى أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة.

وقال قتادة: أعلم الناس بالحلال والحرام الحسن وأعلمهم بالمناسبك عطاء، وأعلمهم بالتفسير عكرمة، وروى سعيد بن قتادة قال: كان أعلم التابعين أربعة، كان عطاء أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بسيرة النبى ﷺ، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام[3].

ويروى لنا أيوب - رحمه الله تعالى - عن عكرمة أنه قال: «إنى لأخرج إلى السوق، فأسمع الرجل يتكلم بالكلمة فينفتح لى خمسون بابا فى العلم»[4].

وعن أيوب - وسئل عن عكرمة - فقال لو لم يكن عندى ثقة لم أكتب عنه، وعن عكرمة قال: قرأ ابن عباس هذه الآية ﴿وَإِذْ قَالَتْ

---

(١) ذاته.

(٢) تذكرة الحفاظ جـ ١ ، ص٩٦.

(٣) سير أعلام النبلاء جـ ٥ ، ص ٥٠٧.

(٤) ذاته.

أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦٤) قال ابن عباس: لم أدر أنجا القوم أم هلكوا؟..

قال: فمازلت أبين له «أبصره» حتى عرف أنهم قد نجوا، قال: فكسانى حلة.

وقال مصعب بن عبد الله: تزوج عكرمة أم سعيد بن جبير.

ويروى لنا حجاج الصواف، عن أرطأة بن أبى أرطأة، أنه سمع عكرمة يحدث القوم وفيهم سعيد بن جبير وغيره، فقال: إن للعلم ثمنا، فأعطوه ثمنه، قالوا: وما ثمنه يا أبا عبد الله؟.. قال: أن تضعه عند من يحسن حفظه ولا يضيعه[1].

وكان له رأى فى التفسير معقول، ومقبول ومن أمثلة ذلك رأيه فى قول الله - عز وجل - ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ (النساء: ١٧): يقول عكرمة الدنيا كلها قريب، كلها جهالة، وهذا رأى مقبولا عقلا، ونقلا.

وسئل عكرمة عن قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (القصص: ٨٣) الآية فجعل الدار الآخرة للذين لا يريدون علوا فى الأرض عند سلاطينها ولا ملوكها ولافسادا لا يعملون بمعاصى الله عز وجل والعاقبة للمتقين فى الجنة[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء، جـ ٥، ص ٥٠٩.

(٢) الحلية جـ ٣، ص ٣٣٠.

وعن عكرمة في قوله تعالى ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ ۝٧ ﴾ (فصلت: ٦ - ٧): «لا يقولون لا إله إلا الله» وفي قوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ ﴾ (الأعلى: ١٤).

قال: «من قال لا إله إلا الله» وفي قوله: ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ ﴾ (النازعات: ١٨): إلى أن تقول لا إله إلا الله وفي قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ۝٣٠ ﴾ (فصلت: ٣٠).

قال شهادة: «أن لا إله إلا الله»، وقوله ﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝٧٨ ﴾ (هود: ٧٨): قال أليس منكم رجل يقول لا إله إلا الله: وفي قوله ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨ ﴾ (النبأ: ٣٨): قال الصواب لا إله إلا الله، وفي قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝١٩٤ ﴾ (آل عمران): ١٩٤ «قال الميعاد لمن قال لا إله إلا الله»[1].

وكان يقول «﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩٣ ﴾ (البقرة: ١٩٣): قال: «على من لا يقول لا إله إلا الله» وتفسير قوله عز وجل وجل «السائحون» قال هم طلبة العلم، وعن عكرمة في قوله تعالى كما يئس الكفار من أصحاب القبور قال الكفار إذا دخلوا القبور عاينوا ما أعد الله من الخزى يئسوا من رحمة الله.

وعن عكرمة قال كان إبراهيم عليه السلام يكنى أبا الضفيان وكان لقصره أربعة أبواب لكيلا يفوته أحد.

---

(١) الحلية ص ٣٣٤

وعـن عبد الرحمن بن حسـان: سمعت عكرمة يقـول: طلبت العلم أربعين سنة، وكنت أفتى بالباب، وابن عباس فى الدار.

وحدث «عكرمة» عن ابن عباس، وعائشـة وأبى هريرة، وابن عمر، وابن عمرو، وعقبة بن عامر، وعلى بن أبى طالب، وغيرهم.

وحـدث عنه «إبراهيم النخعى» والشـعبى، وماتـا قبله، وعمرو بن دينار، وحبيب بن أبى ثابت، وحجاج بن أرطأة، وغيرهم كثير.

ومن روايته للحديث عن «عكرمة» عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال من حلف على أحد بيمين وهو يرى أنه سيبر به فلم يفعل فإن إثمه على الذى لم يبره.

وعكرمـة يقـول قالت عائشـة رضـى الله تعالى عنها ما شـبعنا من الأسودين حتى أجلى الله النضير وأهلك قريظة.

وتوفـى - رحمـه الله تعالى - سـنة خمسـمائة، ووافـق ذلك قول الواقدى، وقيل مات سـنة سـبعمائة، وقيل غير ذلك، بعد حياة حافلة بالعمل والجهاد، وتحصيل العلم والفتوى[1].

□□□

(١) ميزان الاعتدال جـ ٣، ص ٩٥.

مرة بن شراحيل

من التابعين الأجلاء، المدمن للتعبد، والمواظب على التهجد المنقبض عن الهزل والأباطيل. المحسن لسانه فى الفتن عن الأقاويل. وهو «مرة ابن شـــراحيل الهمدانى» الكوفى، ويلقب «بمرة الطيب، ومرة الخير»، لعبادته، وخيره، وعلمه. ويكنى «أبو إسماعيل».

وكان – رحمه الله تعالى – كبير الشـــأن، وكان من العباد، الزهاد، حيث إنه سجد لله تعالى حتى أكل التراب جبهته.

ويروى لنا عطاء بن الســـائب قال كان مرة يصلى كل يوم وليلة ألف ركعـــة فلما ثقل وبدن صلى أربعمائة ركعة وكنت تنظر إلى مباركه كأنها مبارك الإبل، ولانشغاله بالعبادة قلت روايته[1].

ويروى لنا أن «مرة بن شـــراحيل» الطيب أتاه نفر من أصحابه، قالوا أتينا مرة بن شـــراحيل الطيب نسأل عنه فقالوا إنه فى غرفة له قد تعبد اثنى عشرة سنة قال فدخلنا عليه – رحمه الله تعالى – فى غرفته.

وكان يأخذ نفسه بالشدة فى العبادة، حتى إنه يصلى على قطعة من اللباد وهو يمسك بوتد فى الحائط، وكان يرى أثر السجود فى جبهته، وكفيه، وركبتيه، وقدميه.

ولما كانت الفتنة الأولى عصمه الله منها فقال عصمت منها لأحدثن لله شـــكرا فكان يصلى فى اليوم والليلة خمسين ركعة يختم فيها القرآن فلما

(١) حلية الأولياء جـ ٤، ص ١٦١، وسير أعلام النبلاء جـ ٥، ص ١١٠.

كانت فتنة بن الزبير عصم منها فقال عصمت منها لأحدثن لله شكرا فكان يصلى فى اليوم والليلة عدد سور القرآن مائة ركعة وأربع عشرة ركعة يختم فيها القرآن.

وقد شهد «مرة بن شراحيل» - رحمه الله تعالى - فتح القادسية فى ثلاثة آلاف من قومه، ومن حكمه أنه كان يقول: «ألا إن الله عز وجل لم يكتب على عبد بلاء إلا أمضاه عليه وإن أطاعه ذلك العبد ولم يكتب لعبد رزقا إلا وفاه إياه وإن عصاه ذلك العبد»[1].

وقد حدث «مرة الطيب» عن «أبى بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبى ذر، وابن مسعود، وأبى موسى الأشعرى، وغيرهم».

كما حدث عنه أسلم الكوفى وزبيد اليامى، وحصين بن عبد الرحمن، وعطاء بن السائب، وإسماعيل بن أبى خالد، وغيرهم كثير.

ويذكر لنا صاحب الطبقات أنه روى عن عمر، وعلى، وعبد الله -رضى الله عنهم أجمعين- ومن مراويه عن عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه- قال: «والله لأردنها عليكم حتى يروح على الرجل منكم المائة من الإبل، يعنى الصدقة، وكان ثقة».

عن مرة الهمدانى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قال سمعت النبى ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة خب ولا خائن»[2].

وعن مرة عن ابن مسعود قال: قال: رسول ﷺ «شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم أو بيوتهم نارا».

---

(١) ذاته ص ١٦٣.

(٢) الحلية جـ ٤، ص ١٦٤.

وعـن مرة عن عبـد الله قال «إن الله تعالى قسـم بينكم أخلاقكم كما قسـم بينكم أرزاقكم وإن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطـى الإيمان إلا من يحـب فإذا أحب الله عبدا أعطاه الإيمان فإذا بخلتم بالمال أن تنفقوه وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه وضعفتم عن الليل أن تسـاهروه فاستكثروا من قول سبحان الله والحمد لله فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب وفضة»[1].

ويروى لنا مرة قال: قال عبد الله بن مسـعود فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية[2].

وتوفى - رحمه الله تعالى - سنة نيف وثمانين بالكوفة رحمه الله تعالى.

❑❑❑

(١) ذاته ص ١٦٥.

(٢) ذاته ص ١٦٥ وما بعدها.

كثير بن مُرة

هــو الإمام الزاهد، الورع التقى، الحجــة التقى «كثير بن مرة أبو شــجرة الحضرمى، الرهاوى، الشــامى، الحمصى، الأعرج، ويكنى «أبا القاسم»..

ويروى أن عبد العزيز بن مروان كتب إلى كثير بن مرة، وكان قد أدرك بحمص ســبعين بدريا، وهــذا دليل على أنه حضــر كوكبة من الصحابة الأجلاء، خاصة الذين شــهدوا غزوة بدر الكبرى، الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : «لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال لهم: «اعملوا ما شئتم فإنى قد غفرت لكم»..

ويقول الإمام الليث : وكان يسمى الجند المقدم.

قــال: فكتب إليه يكتب إليه بما سمع من أصحاب رســول الله ﷺ، ومن أحاديثهم إلا حديث أبى هريرة، فإنه عندنا[1].

ويــروى لنا التابعى الجليل كثير بن مرة، قال: «دخلت المســجد يوم الجمعة، فمررت بعوف بن مالك الأشجعى وهو باسط رجليه، فضمهما ثم قال: يا كثير أتدرى لم بســطت رجلى؟.. بسطتهما رجاء أن يجىء رجل صالح فأجلسه، وإنى لأرجو أن تكون رجلا صالحا».

وهذه شــهادة من صحابى جليل من أصحاب رسول الله ﷺ فدل ذلك على أن «كثير بن مرة» كان رجلا صالحا، زاهدا، ورعا، تقيا.

(١) سير أعلام النبلاء جـ ٥ ، ص ٨٩، والطبقات الكبرى جـ ٧، ص ٣١١.

وقد شهد له بالورع، والصلاح كثرة من معاصريه، ومخالطيه، فلقد روى لنا «أبو زرعة الدمشقي: قلت لدحيم. فمن يكون مع جبير بن نفير، وأبى إدريس الخولانى فى طبقتهما؟.. قال: كثير بن مرة.

فذاكرته سنه، ومناظرة أبى الدرداء إياه فى القراءة خلف الإمام. وقول عوف فيه: إنى لأرجو أن تكون صالحا فرآه معهما فى طبقة.

قال أبو مسهر: بقى كثير إلى خلافة عبد الملك[1].

وكان - رحمه الله تعالى - من رواة الحديث فقد روى «كثير بن مرة» عن أجلة الصحابة من أمثال: «معاذ بن جبل، وعمر بن الخطاب. وعبادة بن الصامت، وأبى الدرداء، وأبى هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وعوف بن مالك، ونعيم بن همار، وأبى هريرة، وعقبة بن عامر، وأبى فاطمة الأزدى. وشرحبيل بن السمط. وغيرهم».

كما روى عنه: «أبو الزاهرية حدير بن كريب، وخالد بن معدان. وصالح ابن أبى عريب، ومكحول، وشريح بن عبيد. وعبد الرحمن بن جبير بن نفير، ولقمان بن عامر. ونصر بن علقمة، وعبد الرحمن بن عائذ. وآخرون».

ومن مراويه عن رسول الله ﷺ: عن كثير بن مرة، عن معاذ بن جبل. عن النبى ﷺ، قال: «لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا. إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل، يوشك أن يفارقك إلينا»[2] رحم الله «كثير بن مرة»، وأسكنه فراديس جنانه.

---

(١) سير أعلام النبلاء، جـ ٥، ص ٩٠

(٢) أخرجه الترمذى فى سننه «كتاب الرضاع» باب ١٩، ورواه الإمام أحمد فى المسند جـ ٨ حديث رقم ٢٢١٦٢. وابن ماجة فى سننه.

خارجة بن زيد

هــو التابعــى الجليل، والزاهد الورع «خارجة بــن زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوزان بن عمرو بن عبدعوف بن كالك بن النجار».. وأمه «أم سعد» وهى «جميلة بنت سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى وهير بــن مالك بن امــرىء القيس بن مالك بن ثعلبة». مــن بنى الحارث بن الخــزرج وأولاده هم: «زيد، عمرو، وعبد الله، ومحمد وله من الإناث: «حبيبة ، وحميدة، وأم يحيى ، أم سليمان» وأمهم «أم عمرو بنت حزم، من بنى مالك بن النجار».

ويكنــى التابعى الجليــل «أبا زيد» وكان «خارجــة» يتختم فى يده اليســرى خاتما. وكان – رحمه الله تعــالى – زاهدا، ورعا، تقيا، يكثر من الصلاة، ويحافظ عليها. وكان يُرى بين عينيه أثر الســجود، وكان – رحمه الله تعالى – حسن الجسم.

ويحدثنا زيد بن الســائب فيقــول: «رأيت» خارجة بن زيد. «يلبس كساء خز، كما رأيته يلبس ملحفة معصفرة، وكان يعتم بعمامة بيضاء»[1].

وكان – رحمــه الله تعــالى – ثقة فى الحديث ويــروى لنا «خارجة بن زيد» عن نفســه فيقول: «قال: رأيت فى المنام كأنى بنيت ســبعين درجة، فلما فرغت منها، تهورت: وهذه الســنة لى ســبعون ســنة قد أكملتها فمات عنها».

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد جـ ٥ ، ص ١٩٣ – ١٩٤

ويقول عنه صاحب سير أعلام النبلاء هو الفقيه، الإمام ابن الإمام، وأحد الفقهاء السبعة الأعلام، أبو زيد الأنصاري، النجاري، المدني، وإخوته، هم: إسماعيل، وسليمان، ويحيى، وسعد، وجده لأمه هو سعد ابن الربيع الأنصاري، أحد النقباء السادة.

وكان أحد الفقهاء السبعة الذين يُسألون بالمدينة، ويُنتهى إلى قولهم «سعيد بن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وعروة بن الزبير والقاسم، وعبيد الله بن عبد الله، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار»[1].

وروى الدراوردى عن عبيد الله بن عمر، قال: كان الفقه بعد أصحاب رسول ﷺ بالمدينة فى خارجة بن زيد بن ثابت، وسعيد بن المسيب، وعروة، والقاسم بن محمد، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الملك بن مروان، وسلميان بن يسار مولى ميمونة.

وقال مصعب بن الزبير: كان خارجة بن زيد، وطلحة بن عبد الله بن عوف فى زمانهما يُستفتيان، وينتهى الناس إلى قولهما، ويقسمان المواريث بين أهلها من الدور والنخيل، والأموال، ويكتبان الوثائق للناس[2].

وروى معن القزاز عن زيد بن السائب، قال: أجاز سليمان بن عبد الملك خارجة بن زيد بمال فقسمه، وهذا دليل على زهده فى الدنيا، وسخائه وكرمه، وجوده وتقواه، وكان -رحمه الله تعالى - يحب الخير للناس كما يحبه لنفسه حيث إن عمر بن عبد العزيز كتب أن يعطى خارجة بن زيد ما قطع عنه من الديوان، فمشى خارجة إلى أبى بكر بن حزم، وقال:

---

(١) سير أعلام النبلاء جـ ٥ ، ص ٣٦٨.

(٢) ذاته ص ٣٦٩.

إنى أكره أن يلزم أمير المؤمنين من هذه مقالة، ولى نظراء، فإن عمهم أمير المؤمنين بهذا فعلت، وإن هو خصنى به، فإنى أكره ذلك له.

فكتب عمر: لا يسع المال لذلك، ولو وسعه لفعلت[1].

وخارجة بن زيد مدنى، تابعى، ثقة، ويقول عنه رجاء بن حيوة: يا أمير المؤمنين، قدم قادم الساعة، فأخبرنا أن خارجة بن زيد مات، فاسترجع عمر، أى قال إنا لله وإنا إليه راجعون، وصفق بإحدى يديه على الأخرى وقال: ثلمة والله فى الإسلام، يعنى ترك ثغرة وفجوة، ومكانا لا يمكن أن يسد أو يملأ هذا الفراغ إلا بمثله.

وحدث عن أبيه، وعمه يزيد، وأسامة بن زيد، وأمه أم سعد بنت سعد، وأم العلاء الأنصارية، وعبد الرحمن بن أبى عمرة، ولم يكن بالمكثر من الحديث، وروى عنه ابنه سليمان، وابن أخيه سعيد بن سليمان، وسالم أبو النضر، وأبو الزناد وهو تلميذه فى الفقه، وعبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وعبد الله بن عمرو بن عثمان، وعثمان بن حكيم الأنصارى، ومجالد بن عوف، ومحمد بن عبد الله الديباج، وابن شهاب، ويزيد بن عبد الله بن قسيط، وأبو بكر بن حزم، وآخرون.

فعن خارجة بن زيد، عن أبيه، قال: «أمرنى رسول ﷺ أن أتعلم كتاب يهود، فما مر بى نصف شهر حتى تعلمت، كنت أكتب له إلى يهود إذا كتب إليهم، فإذا كتبوا إليه، قرأت كتابهم له»[2].

---

(١) ذاته ص ٣٦٩.

(٢) أخرجه البخارى والإمام أحمد فى المسند جـ ٨، أبو داود والترمذى.

وعن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال: مات خارجة بن زيد سنة مائة فى خلافة عمر بن عبد العزيز، ومات بالمدينة وصلى عليه أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وهو والى عمر على المدينة يومئذ، ورأيت على سريره بردا متركا.

قال: أخبرنا معن عيسى قال أخبرنا زيد بن السائب قال: شهدت خارجة بن زيد فرأيت الماء رش على قبره.

مات «خارجة بن زيد» - رحمه الله تعالى -، بعد حياة حافلة بالإيمان والورع والزهد، والتقوى، فعلى كل الشباب المسلم الاقتداء بخارجة وأمثاله، وخاصة فى هذا العصر الذى يموج بالاغراءات، والفتن والجرى وراء المادة لتحقيق ما يسمى بالطموحات، ولا مانع من العمل، وتحقيق ما يصبو إليه الشباب المسلم فى ظلال الإيمان والورع، وتحرى الحلال والعمل للدار الأخرة رحمه الله تعالى.

□□□

المصادر والمراجع

١ – القرآن الكريم .
٢ – كتب السنة النبوية.
٣ – أسد الغابة.
٤ – الاستيعاب لابن عبد البر.
٥ – الإصابة.
٦ – البداية والنهاية لابن كثير.
٧ – الجرح والتعديل.
٨ – العبر فى خبر من غبر للذهبى.
٩ – الطبقات الكبرى لابن سعد.
١٠ – الشعر والشعراء لابن قتيبة الدنيورى.
١١ – المعرفة والتاريخ.
١٢ – المحبر.
١٣ – الكاشف.
١٤ – تاريخ الإسلام (الذهبى).
١٥ – تاريخ البخارى الكبير.
١٦ – تاريخ الطبرى.
١٧ – تاريخ بغداد.
١٨ – تذكرة الحفاظ.
١٩ – تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس لحسين بن محمد الديار بكرى.
٢٠– تاريخ خليفة بن خياط.

٢١ – تهذيب الأسماء واللغات – ط دار الفكر.
٢٢ – جمهرة أنساب العرب لأبى زيد القرشى – دار المعارف بمصر.
٢٣ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم.
٢٤ – ديوان قيس الرقيات.
٢٥ – رياض الصالحين للنووى – ط – دار الوفاء.
٢٦ – سير أعلام النبلاء للذهبى.
٢٧ – صفة الصفوة – دار الحديث بالقاهرة.
٢٨ – طبقات خليفة بن خياط.
٢٩ – لسان العرب لابن منظور.
٣٠ – مروج الذهب للمسعودى.
٣١ – مختصر ابن عساكر.
٣٢ – مسند الإمام أحمد.
٣٣ – معجم البلدان لياقوت الحموى.
٣٤ – نسب قريش.
٣٥ – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / لابن خلكان.
٣٦ – تهذيب الكمال فى أمساء الرجال للمزى . ط دار الفكر.
٣٧ – الثقات للبستى دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٣٨ – ميزان الاعتدال للذهبى.
٣٩ – تقريب التهذيب.
٤٠ – تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى.
٤١ – كتاب المنامات لابن أبى الدنيا.
٤٢ – دلائل النبوة للبيهقى.

الفهرس

مقدمة..... ٠٠٥
زياد بن جرير الأسلمي..... ٠٠٦
شقيق بن سلمة الأسدى..... ٠١١
عروة بن الزبير..... ٠١٧
مصعب بن الزبير..... ٠٢٤
أبو سلمة..... ٠٣٠
زرّ بن حُبيش..... ٠٣٤
الرَّبيع بن خُثَيم..... ٠٤٠
وكيع بن الجراح..... ٠٤٧
ابن السَّمَّاك..... ٠٥٣
عمرو بن ميمون الأودى ٠٥٧
عمرو بن عتبة..... ٠٦٤
العلاء بن زياد..... ٠٧٢
زين العابدين..... ٠٧٩
سعد بن إبراهيم الزهرى ٠٩٢
كهمس البصرى..... ٠٩٨
يزيد بن الأصم..... ١٠٤
أبو عبد الرحمن السلمى..... ١١٠
عائذ الله «أبو إدريس الخولانى»..... ١١٥
عمران القصير..... ١١٩

ربعى بن حراش..... ١٢٤
عكرمة «مولى ابن عباس»..... ١٢٩
مرة بن شراحيل..... ١٣٦
كثير بن مُرة..... ١٣٩
خارجة بن زيد..... ١٤١
المصادروالمراجع..... ١٤٥

رقم الإيداع	٢٠١٣ / ٣٨٤٤
الترقيم الدولى	ISBN 978-977-02-7730-0

١ / ٢٠١١ / ٣٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)